سعيد عقل

شعره والنثر

المجلّد الخامس

كتاب الوَرد
قصائدِ مِن دفترها

نوبلِيس

سعيد عقل
شعرُه والنثر

المجلد الخامس

كتاب الوَرد
قصائِد مِن دفترها

نوبِليس

للمؤلف

بنت يفتاح	الطبعة الأولى ١٩٣٥ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١ (مصححة)
قدموس	الطبعة الأولى ١٩٣٧ ــ الطبعة الرابعة ١٩٩١
المجدلية	الطبعة الأولى ١٩٤٤ ــ الطبعة الثالثة ١٩٩١
رندلى	الطبعة الأولى ١٩٥٠ ــ الطبعة الخامسة ١٩٩١
غد النخبة	الطبعة الأولى ١٩٥٤ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١ (مصححة)
أجمل منك لا	الطبعة الأولى ١٩٦٠ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١ (مصححة ومزيد عليها)
لبنان ان حكى	الطبعة الأولى ١٩٦٠ ــ الطبعة السادسة ١٩٩١
كأس لخمر	الطبعة الأولى ١٩٦١ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١
اجراس الياسمين	الطبعة الأولى ١٩٧١ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١
كتاب الورد	الطبعة الأولى ١٩٧٢ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١
قصائد من دفترها	الطبعة الأولى ١٩٧٣ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١
دلزى	الطبعة الأولى ١٩٧٣ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١
كما الأعمدة	الطبعة الأولى ١٩٧٤ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١ (مزيد عليها)
الوثيقة التبادعية	الطبعة الأولى ١٩٧٦ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١
خماسيات الصبا	الطبعة الأولى ١٩٩١

المجلّد الخامِس

كتاب الوَرد
قصَائِد مِن دفـترها

كتاب الوَرد

الطبعة الأولى ١٩٧٢
الطبعة الثانية ١٩٩١

نفحات الناي

رأيتكِ... « أنتِ الجمال »، قلت ؟

لا وانما غفرتُ للدنيا زلازلها والحروب، لأن عينيك ذات يوم وقعتا عليها.

* * *

اليوم ولدتُ في الشعر.

زارتني عيناك.

وفي اذني دحرَجتا لي أكراً من كلماتك، فيها النار والربيع.

وفيها انتِ.

أمس لم تعرِّجي عليّ.
صدرك ما نقشته في الهواء.
قصرنا ما اشرقت فيه الشمس.
الأبراج قَلَّ علوّها. ورملا، رملا تافهاً، بات رُخامُ كرَّارا.

* * *

امس التقينا على ضفاف بردى.
سألت صفصافة على النهر: « ما يزال يُوجِعُكِ خصرُها ؟ »
وخيّل إلي أنَّ شعبا استفاق على تَغَزُّل شاعر.

* * *

مزهوةً بي، فرحة، شهدتُكِ صبيحةَ أمس.
لكنك، وأنت في جنّات سهلنا، تلك التي آثرتْها افروديت على الأولمب، وفي غاباتها أُحبّت ادونيس، لم تشهدي الشمس تتسرَّق النظر إلى جسمك الالهي ثم تغمزُ النجوم...

* * *

اليوم لن نلتقي.
في عينيك، لن اسافر الى آخر الأرض.
ولن اشهد بزوغ الابتسامة على شفتيك.
الابتسامةِ التي تُحيي وتميت.

* * *

أنتِ ستكتبين حياتي ؟
ولكن حياتي نقشتُها انا شعراً لا يموت، منذ زلزلني جمالُ قدّك، وقالت لي أصابعك الضوئية:
« سأحملكَ على اللهو بالوجود ».

* * *

قال كنتِ أمس مُوجعة؟ تصورتُ خيوطَ الشمس رَجعتْ إلى أُمِّها، كاسفةَ البال، تقول: « التي خُلِقْنا لنفرش دربها بالضوء لازمت فراشَها. الناس لم يشهدوا الجمال يزوبع في الطرق ».

* * *

انقضى عمْر، يا إلهتي، وأنا لم أسمع صوتك.
الطيبةُ هجرت بيتي، وهجَرها الجمال.

أنا نفسي قَلَّ اندفاعي الى محاكاة يد الله.
عودي. قصيدةُ الوجود تكاد تتبعثر.

* * *

بلى أعرفُك.
ولكنني، كذلك، أعرف نيساناتِك السبعةَ عشر.
أنتِ للاّ وهن للنعم.
ويا ريشتي، اكتبي لهن لا لها... بعثري العجب، زلزلي الشمس والقمر.

* * *

وددتِني لفظةً في قصيدة، تقولين؟
أنا وددتُني هبّةَ نسيم تدغدغ غرَّتك، وقد شرد اسمي ببالك... وأصغيتِ... وطاب الشعر...

السبعةَ عشر ربيعاً التي احتويتُها بذراعيّ... تطلّعَتْ في ما بعد الى الأفق.
هَتفت غامزة:
وحدَنا أنا وأنتِ، ايتها الشمس... ولا تَنسَيْ حبيبي...

* * *

معستِ قلبي: أوهمتِه أنّني لن أُحِبّكِ.
لكنه لم يصدّق.
قلبي، فيما يُفرفر فراشةً بين الزهور، أحسه لا يَهتمّ الا لِزهرةٍ.
تلك التي قال انه منها هَرب، والتي لا أجملَ منها الا هي.

سحابةَ اسبوعٍ ما لمحتُ لكِ وجهاً...
« استبد بي الشوق »...
خلتُنا، أنا وهذه الأرض العطشى، ذراعاً تنفتح وسع الأفق لتضمّكِ، ايها السراب الذي أجملُ من الجمال.

تكتبين إليّ أنكِ تجمعين كل ما أخطُّ من غزل ؟
خذي هذه بدبوس وعلّقيها على صدرك: « أموت... أموت لرفّة هدب به تَمسحين ضجرَ الوجود ».
أنت بعضُ سماء.

زُرتني، تقولين؟
كيف تزورين من ما وُلد بعد؟
قولي، بالاحرى: «يومَ تأرجحت قامتي الطيفيّة في حجرتك، خُلق على أصابعي شيءٌ اسمه انت.
«وغمستَ عينيك في اناقتي.
«وقال... بدأ الشعر...».

* * *

الليالي تَمرّ ؟
والغمام والوجود ؟
لكن طعمَ شفتيك أطيب منها، يا حبيبتي.
فلتمرَّ فلتمرّ. من جديد أنا اخلقها.

* * *

هذا الصباح، ولم أكن اقفلتُ شُبّاكي، استيقظْتُ، فاذا الشمس في أهداب عينيّ.
استجملتها هذه العارية...
كدت اخلط بينها وبين جسم أعرفه يزلزل المستحيل.

* * *

في احواضنا، على بعض الشبابيك، وردَةٌ وجميل. مرَّة تلفهما الريح فتقولُهما في عناق، واحياناً تخالهما تعاتب الواحدة الآخر ؟

ويردّ:

ــ لا، يا وردة، لا تغضبي. الريح عارضة وانا الباقي. وعليّ أن أهيِّئَ العرش. اذ، على الزهر جميعاً، ينبغي ان تتسلطن الوردة.

* * *

انتِ في بيتنا ؟!

لا اصدق.

والا يكن بيتُنا الريح...

او حديقةً في الفضاء يشيلُ بها طيرُ الرُخّ.

وانا اغنية...

* * *

أُريدُكِ تظلّين ساهرة.

والأ غرقتُ كما لياندر. وانت كما هيرو لحقتِ بي إلى اللُجّة.

ما قِصتُهما ؟

كُلَّ ليلةٍ، كان لياندر يجتاز مياه الألشبون سباحةً ليلتقي هيرو على الضفة الأخرى. وكانت هي تُشعل له قنديلاً يستعين به على ظلمة الليل. وذات مرّة أطفأت العاصفةُ القنديل. غرق لياندر. ومن يأسها رمت هيرو بنفسها في البحر.

* * *

أن أحبَّ انا ؟
انها أن أصبحَ المغنيّ والأغنية...
وحتماً ستسمعين.
وحتماً تجيئين.

* * *

لا لا تقولي: « وحدها الغمامة البيضاء تسكن السماء ».
انا، كذلك، في قلبي سماء...
وبياضك أنقى مِن الذي للغمامة.

* * *

من بعيد، سمعتُها تتساقط، على وجنتيك الزنبقيّتين، عبراتٌ أجملُ من جناحَي ملاك.

أحسستها تقع في قلبي.
او تبكين بسببي ؟
خجِلتُ خجلت.. لأنني، اكراماً لواحدة من تلك العبرات، لم أُبدِّلْ وجه الدنيا.

* * *

ستجيئين !
ويكوكب بيتنا.
وتصبح السنة بِخمسة فصول.
ومن الربيع الآخر يغار الربيع الأوَّل...

* * *

كتبتُ اليك وردة...
وقّعيها أنتِ بقبلة...

أمس وحسب، وقع عليك نظري.
واذا أمسي وردة.
وتعطَّر الأزل. وعلى الأبد، وَقَع اللونُ الأنيق.

* * *

يقولون ان كل شيءٍ سيتبدل، سيزول. الا ثلاثةً: الحبَّ والضحكَ وبَرْءَ الجمال.

ويذهب بالي اليك... وأغدو بارساً جديداً يرميك بَدْلَ الواحدة بتفاحاتٍ ثلاث...

* * *

أحببتُكِ.

ضِعتُ في الجمال.

ونسيتُ أن النجوم ليست تفاحاً على شجرة أقطِفُه وألعب...

* * *

عَنْ ريشتك وحُسنِك تسألينني.

أيهما، تقولين، جعلكِ حبيبة القلب ؟

اسألي، بالاحرى، السماء المكوكبة. أأنا أبعث اليها بعيني أم أنا اليها أطير ؟...

* * *

أنا لا أُجيد كتابة الرسائل.

استنبيك في تدبيج واحدة أبعث بها إلى إلهةِ حُسْن.
ولكن، حذار ان تتقنيها.
أبعثُ بها اليكِ.

* * *

الطبيعةُ سَجادةٌ للك...
قدماكِ، زوجُ الحمام، متى تنطنطان ؟...
عودي، النايُ ينتظر، وفي قلبي تُشرِقُ شمس.

* * *

— ستجيئين، قلتِ؟
اتركي الدنيا وراءك، والحاضرَ، والغد.
اكتفي بان تأتيني بِكِ في هنيهةِ جمال.

* * *

متأخّرةً جئتِ إلى الوجود.
الشمس قال...
كانت قد خَلعت على الارض ملايين من نهاراتها...
مَنْ يصدق ؟
أرضٌ ماوقعت عليها عيناك، تراها كانت في الوجود ؟

عيناك الرحبتان كرَبيع، انهما اللوز وأفق الذهب والحياة والموت.

* * *

تَخاصَمْنا ؟
ولكن تجرّئي على القول: « غداً، البنفسجة بلا عِطر ».
هذا الصباح، سيكون عناق.
وفي الروض ستهتزُّ اغصان.

* * *

لِجمالِ صدرِكِ كتبتُ أغنية.
الرمانتان التقليديتان استبدلتُهما بصباحين.
وغمزتُ الوجود:
ـــ انت تملكُ صباحاً واحداً، قلت.
وحسدني الوجود.

* * *

هذا الصباح، في الجِواء، مع نزول الشمس على شباكي، قشعريرة.
جفناك، ولا بد، انفتحا صوبَ بيتي.

تحدثينني فأُحسُّ الياسمينةَ تَكبُّ شذاها.
تراها، يوم خلقت في اول الدهر، كانت مسودَّة ما سوف تكونين ؟

* * *

السيف وجِسمُكِ، الذي من شمس، تساءلت اليوم ايهما اطيب على العناق.

* * *

رأيتُكِ تدمعُ عيناك لأنَّ الجبهة لم تُتح لي ان أُلاعب الموت.
ما كان أجمَلكِ.
وهكذا مَرَّ ببالي أن أحيا.

* * *

جسمك البلوري البضّ ؟ لقد أسكت التحفَ على الجدار وفي الكتب.
غمزتُهن ان ينظرن اليه.

* * *

في أول الدهر لم تعرّجي على بيبلوس.
ذاك الذي كان يحفر حرف ألف تلعثم بيده المنقاش.
مِن قوامك لم يعبِّ عينيه.
إلى الابد ستكون الألف مشوبَة الاناقة.

* * *

جَوُّ ساحلنا موجع.
قلبُ زهر الليمون قلّت خفقاتُه.
هذه الصبيحة سأعوضه بالفرح.
ستجيئين.

* * *

أمس خيّل اليّ أنَّ الوجودَ لم يكُن خُلق بعد.
وحدَه عُرْيُكِ البض كان خُلِق. وحدَه عريُك البض كان
السماء والارض، المتململتين في بال الله.
وكانتا أُهنأ.

* * *

نطنطتُ مع الفراشة.
أنزلتُها قصيدةً في كتاب.

غداً، تقولين،ان القصيدة على جمالك، وانك انت التي بدرتِ النجوم في الحقول.

* * *

قرأتُكِ.
احسستُني الريح: أحيا، أقتلع الشجر.

* * *

كتبتُ قصيدة على ورَق الصدى.
وحده أسمُكِ بقي لي وللجمال.

* * *

سكتُّ.
رحت استمع الى عينيك، يا حبيبتي، تقولان البرْقَ والمروج وحقلاً مِن نجوم.
وأُولد أنا...

* * *

امس لم اكش عصفوراً عن قمحات البيت، التي كلَّفتني أمي حراستَها...

تذكرتُ انك تُحبيّن العصافير.

* * *

كلما زرتِ عشّنا، تركتِ كلماتٍ على ورقة.
وأعيش.
أمس، كان قلمك، على ما يبدو، قليل حبر. تركتِ بياضاً على الورق.
ها أنا أضع عليه خدّي... واقرأ...

* * *

هذا الصباح، وقد استقبلتِ شعاع الشمس بعدَ مطر نظمتُ شعراً على هُدْب عينيك.
وما نسيت ان اقول للشعاع: لا تغَر.

* * *

سأقول لك، يوماً، انكِ الليل واللذة والنار.
اليوم، انت الاغنية التي لفّتني وطارت.
عيناكِ السودوان ها أنا أرشفهما بي، كأنك الوجو وكأنني وردة.

* * *

كنت ترسمين...
كانت اصابعُكِ من قوس الغمام...
وشَهقْت...
لماذا لا تكون حياتي بعض خطوط، وانتِ القصيدة التي لم أكتُبْ بعد ؟

° ° °

أكتُبي لي على ورق الشمس.
بطرَف عينك اكتبي... صباحَ تجيء الشمس تستحِمّ بين ادغال أهدابك الطويلة...

° ° °

ضِعتُ في هُدْبَيْ عينيك...
تراهما في الوجود ؟...
ردّيني اليَّ فأُصَدّق !

° ° °

ردّيني اليَّ او أنسى عمري في عينيك الذهبيتّين...
ويولد كتابُ شعر...

أزهرَت لوزاتُ الجبل.
لَمَ فعلتِ ؟
كفى الربيعَ انَّ فمكِ منقوشٌ عليه.

* * *

حياتي اغنية، شَرْط ان تغنيها.
قلبي عصفور، شرْط أن تأخذي في جَذْل القفص.
بقي ان أحذِّرك مني: أنا كالريح. لتكن ذراعاك الكون،
او تعجزي عن القبض عليّ.

* * *

لم تولدي بعد...
والّا كان لي ان ادحرج الشمس على سريري.
وكان الوجود قد سبح معي في عينيك الذهبيتين.

* * *

مساؤك امس، قطفتُهُ اليوم زهرة.
متى الوجود كلّه مساؤك والصباح ؟
هذا المساء لا تمرّي على بيتنا.

أكون لا ازال منهمكاً في جَمْع قِطَعِ الشمس، التي تركَتْها قدماك على سريري.

* * *

تظنين ان الشِعر نسيك ؟
استنطقيه.
هو نفسه يخبرك ان الورود التي في مِزهرياتكِ مسروقةٌ منه.

* * *

بين القبضات المستعدة لصنع الحياة من الموت، لمَع لي محيّاكِ تزينه عينان أجملُ من كل هنيهات العمر.
وفكّرت...
من أجلهما، كذلك، هاتين اللوزيتين، قد أُصبح بطلاً.

* * *

جئتِ بيتي وهو خالٍ من باقات الزهر.
لا تأبهي.
هكذا كان الوجود يوم زرتِ الوجود.
كلُّ زهرة سأدعوها، بعد اليوم، باثنين: اسمِها واسمكِ.

رِدِّيني اليَّ او أُظلَّ، على كرّ العمر، ساكنا عينيك اللوزيتين...
وتحترقان...

* * *

لم أجد على مكتبي، كالمعتاد، رسالَتكِ الصغيرة!
تراك، هذه المرة، كتبتِها على الصدى؟
جوٌ مخدعي لا يزال يسمع أصوات قُبَلٍ وتأوُّهات.
ما أجمل ان تيأسي من الكتابة.

* * *

العصفورةُ الوافدةُ من الجُنوب، هل تعرف ما تحمل معها؟
نسمةَ جمال ستُفرغني من ذاتي وتملأُني بها.
انتظاري عاد لا يَنتظر. عجّلي، يا عصفورة الجنوب.

* * *

ذهبتِ حارَّةً كجمرة.
انا قلت: الشمسُ انسحبت.
غداً باكراً، عند عودتك اليَّ، سأسأل: أيُّكما الفجر؟

أمس ِ، رأيتُكِ تتأملين السرير، قبل ان ترمي عليه قامَتكِ المثقلةَ الحُسن.

انا كنت لا أفهم لماذا خَلَقَ الله الورد.

بعدَها فهمت...

° ° °

هُنَّ ما أثرُ جمالِهِنّ علي ؟

آنُ وَجَعٍ وينتهي...

انت ؟ أنا مريضٌ بكِ ولا شِفاء.

° ° °

بقلبي، لا باصابعي، عانقتُ يَدَكِ... إصبعاً من يَدك... يوم ساعانقكِ انت، في ليلة بلا شمس، على صدري ستتدحرج شمس.

° ° °

أنا ما عملتُ لك حتى خُلقتِ إلى هذا الحد حسناء ؟ يُوجعني حسنُك، يوجعني... أتسمعين ؟

° ° °

كتبتُ اسمَكِ بكل اللغات التي اعرف.
وكتبتُه بلغة لا اعرف.
لربما ليغار نهارُ اسمِكِ من ليله...
وأغار انا من ضياعي بين حروفه.

* * *

قال، يا ربّة الجنوب، قال... انت السؤال.
وقال... الجواب هو أن أُطبِق عليك بذراعين كالليل...
وقال أَنْ قبلَنا كان الوجود...

* * *

سمعتُه صوت عصفورتي.
اعادني ابن سبع عشرة.
تراها ساحرة ؟
كان قد نفد الورق الذي عليه اكتب.
غمزتُ الشمس:
ــ تنزّلي، قلتُ، سأكتب عليك. إسمُ حبيبتي سيغدو بديل بعضٍ من شعاعك ؟ لربما من أجل هذا وجدتِ، يا شمس... وتسلطنتِ فوق...

* * *

بعد أن وجدتُك، تعطّل الحُلْم.

كنت قبلاً اتوق إلى القبض على كوب بلور من رحيقه اسكر.

غداً عندما سأضمك إلى صدري، سأسأل: أيّنا، يا كوبَ البلور، انتَ ام انا، يُصبُّ للآخر ؟

* * *

كتبتُ لكِ شعراً.

من كانت تتملّكه الكلمة تملكها هو هو ، هذه المرة.

من أجل ان يقول الدنيا التي في عينيها الليليتين.

قولي، متى انت الكلمة ؟

وينبتَ للهنيهة جناحان... وبكِ تطير غصون اللوز...

* * *

بعيدةً كنت امس...

بعيدة عني كالسعادة...

جمالك هو، لا.

كان يدمرني.

وددتُني لو اكون طير الرخّ، الذي في الحكايات، ومغصوبةً غصباً اخطفُكِ وأطير...

كنتُ أحِبُّ الفجر...
وأسمع بالازميل يَعمل في الرخام.
بعد ان عرفتُكِ امّحى الرُخام وخيّل الي ان الأزميل ضاع...
جمالك جميل كأنّه انت !

* * *

يمر ببالي ان أقول لك ما لا تصدقين:
ــ انك الوحيدة التي اوجعني حسنها. ووحدَه صمتُكِ الطفوليّ لن تدركه شُعَل الشموع ولا عطورٌ ولا أشعار.

* * *

هذا الصباح ُولدتُ على صوتك.
وحلمت...
وقال... كان الكون أغنية، وأنت بين نغماتها الكلمة العذراء.
هذا الصباح ولدتُ... كنت الشاعرَ والمغنّي وصاحبَ القيثار.

* * *

لم تَفْهميني أمس، يا معبودتي...
قصدت الى القول انني لأوَّل مرة أحببت...
تصدقين ام لا ؟
هو يقيني...
فتشت عنكِ منذ لم أكن.
وجمالك قد أكون انا صنعتُه على صورة حلمي، لأعطي أن أقول لله ــ كما فعلتُ عشية عثرتُ عليك:
« حقاً، يا خالقي، ان كونك ليستحق ان يُزار... ».

* * *

وسط خَدَري بسحر عينيك، اللتين تشقلبان الوجود، وشعاعةِ ابتسامتك، التي اريدها تَلفُّني ونطير، كنت اتمتم، أمس، بأنك عمري وحبّي الخالد والجنون...
لكنك، يا معبودتي، لم تفهميني ولا أنا كنت أفهم...

* * *

كرَّةً اخرى قولي لي انك تريدينني الى قولة « أُحبكِ ».
افعلي كرتين وعشراً ومئة.
فمكِ، وهو يطلبها، يغدو أجملَ وردةٍ قطفها قلبي.

* * *

ردّي على حبي...
حبي الذي لم يعرف سوى جمالِك أُغنيةً يغنيها...
ولكن، فيما أنتِ تفعلين، لا تنسَيْ ان تبعثي معه ببعض تذكار.
تذكارِ قبلاتك التي من شذا زهر الليمون في العشايا البحريّة،
آونةَ تروح ذراعي تضمُّ خصراً أشبهَ بكأس.

* * *

كُفّي عن كلام، يا حبيبتي.
وقْعُ أناملك على جبهتي، دعيه وحدَهُ يتكلم...
ولتَسرحْ اناملُكِ ولتسرح...
انها لتَحملُ اليَّ، من غيبٍ لذيذ، رونقَ وجودٍ وسعادةٍ وقبلةً لم يقطفها أحدٌ بعد.

أمسِ، وانتِ غائبةٌ، يا حبيبتي، وليس معي سوى الليل، رحت أُردّد شتى أسماءَ كنتُ أُطلقها عليكِ وأنا مجنون حبٍ، وقد طواكِ زندي لكي يطيرَ بك...
ويطيرَ بالوجود...

فتحتُ شُبّاكي هذا الصباح.
دخل شمس ونسيم، يا حبيبتي.
النسيم داعب شَعري، فتذكرت أصابعك.
الشمسُ لوّحتني، لكنني غمزتها أُسمعها أنها لا تزال أقلَّ منك تألقاً...
أيتها البعيدةُ القريبة، اقول لك هذا الفرحَ وقلبي موجَع...

. . .

لماذا لم تجيئي ؟...
الأغنية التي على شفتي ذبُلَتْ...
والحب في الكُتب اصبح بلا ورد وبلا قمر...

. . .

لا تزالين غائبة...
وهكذا لا تتخطّر في مخدعي زنبقةٌ فارعةٌ بحجم ضمتي...
وأبكي، بانتظارِ أن أنذهلَ من جديد وأُسكرَ بالحسن، وأُجَنَّ قائلاً لفرحتي: أنتِ أنا، يا سعادة...
لا، لا تُطيلي الغيبة.

عادت قامتُكِ الفارعة، يا حبيبتي، لا تنبض على ذراعي.
تراها هي الزنبقة وزندي هو الصحراء؟
غيّري وبدّلي او يقلَّ زرعُ الجمال في الهنيهات.

* * *

مررتُ بحديقتكم أمسِ، يا حبيبتي.
وكانت بوّابتها مُشرعة! ولا أحدٌ فيها حتى البستانيّ!...
خُيِّل إليّ انها قلبي يوم ستذهبين.
مرةً أخرى لا تقوليها...

* * *

اخبرَتْني شقيقتُكِ انك اشتريتِ خاتَماً.
وجِعتُ.
انا وحدي يحقُّ لي ان أُختِّمَ أصابعَ في نبل أناقتها بعضٌ من سرّ أشعاري.
حطّميه هذا الذي اشتريتِ أو أتحطّم...

* * *

مُرّي ببيتي، اليومَ، يا حبيبتي...

انه بلا وجهكِ كأغنيةٍ بلا شِعر...
لن تجديني،
لكنني متى عدتُ من سَفر سألملمُ حظَّ عينيك على أشيائي،
فاسكر،
وأعانق الهنيهةَ التي تكونينَ قد سمَّرتِها في الزمن.

* * *

عشيةَ أمسِ، يا حبيبتي، رافقتُ صديقاً في زيارته لخائطةٍ.
أُعجبت بفستان...
أبت الا أن تهديتيه...
ها هو قد نام عندي... بانتظار أن يطلع الصبحُ فابعثَ به اليك...
اقلقَني طَوالَ الليل...
خُيّل إليّ، لوفرة ما هو جميل، أنكِ أنتِ في داخله...
غُرت...
وأحياناً مرَّ ببالي، في ذلك الليل، ان أُمزِّقه من فتحة صدرٍ إلى ذيل... وتشرق الشمس...

* * *

حياتي صحراء ؟
ما همَّ...
أنتِ كوني الوردة...
تُحبينني أنتِ أم لا ؟
ما همَّ...
أنا أُحبكِ.

* * *

مرورُكِ بي، أمسِ، جعل بيتي الصغيرَ طيراً بجناحين.
بيتي اليومَ يرفرفُ، يغنّي، يقول إنك في الوجود...
سألتكِ، كلما حطّ على الأرض، مرّي بي.
وتُجنّ الهنيهاتُ ويولد زهرٌ ما مرَّ ببال.

* * *

أنامُ في ظلّ عينيك العسليتين...
ينسِمُ عليَّ من شَعرك عِطر...
أُحسُّ كلَّ بساتين الدنيا تجمّعت.
قولي للورد الجوريّ، قولي له أن يسكت. أنا سكرت.

* * *

اولَ أمسِ، تكلّمتِ لا كحبيبة، يا حبيبتي...
تكلمتِ كزهرة تُحطِّم إناءَها لأنها تودِّع...
الإلهة تتكلم كخالدة،
ووحدهنَّ الإلهات خالدات...

* * *

تطنطتُ، أمسِ، في اغنية حزينة من أغنياتك، يا حبيبتي.
وتصورتُني على فمك أعيش...
وفي جرحةٍ من صوتكِ...
عِبرَ تنهُّدة تُميت وتُحيي...
سألتكِ كَفّي عن حزن أو يقلّ اشتعالُ زهر اللوز.

* * *

ناديتني مستميتة: « لا، يا حبيبي، لا تذهب ».
مع أننا كنا في ظلّ الياسمينة،
تلك التي تحتها ألبستُكِ الخاتَم...
انت متوجِّسةٌ فراقاً ؟ لتغربِ الشمسُ عن الوجود ولا تغرِبْ عيناكِ الذهبيتانِ عن أغنية حياتي.

* * *

لم تزوريني اليوم...
لكني أنا زرتكِ...
بالفكر، بالاغنيةِ، بقراءة اسمك كرجاً وتهجئة...
وخُيّل اليّ انني كتابٌ وانتِ تقرأينني،
انني شمسٌ واشرِقُ على وجهك،
انني الحبُّ وأضمُّك كذراع.

* * *

بصرتُ بك تشكّين وردةً على صدرك،
كانت لا كاملةَ التفتح، وكانت صفراء...
قلت لرأسي الذي كان يتدحرجُ على الريح: «أنتَ،
أنتَ أيها الموجَعُ، لماذا لم يُدعْكَ الله وردة ؟».
وسَكِر للسؤال...
واستمرَّ يتدحرج...

* * *

همومُ الوردة

انتَ، أحِبَّ علي، انا لن احب عليك.
اعطِ نفسك الدنيا، لن أُعطي نفسي سواك.
شيئاً واحداً أطلبُ منك: لا تنسني.
وانا ؟ انا علمت النسيانَ الحب.

* * *

سُكري بأنني التقيتُكَ.
عيناي الذهبيتان أُغمِضتا عليك...
قل ان سجنكَ هناك لذيذ.

حياتي التي زرتها، يا حبيبي، غدت بنفسجة.
تقطِفها ؟ ما هم.
لكن لا لِتَلهوَ بها او تنثرَها بدداً !...
حبيبي، الحياة جمال والجمال شرَف.

* * *

تعرف، يا حبيبي ؟ أنا، كذلك، وددت لو تكون الحياة بيدي شلفة...
وأضرب بها وأضرب...
تنكسر ؟ تبقى ؟ ما هم.
بهذا اكون خليقة بك.
وتحبني واحبك كما ولا مرَّة.

* * *

وددت، يا حبيبي، لو ان الهنيهات لم توجد.
انها شيء يهرب.
لو انني هنيهةٌ وتحويك، كنت أتخطر وأشمخ جبيناً ولا اكفّ...
ومن حولنا كلمة « حبيبي » تعطر الأرجاء.

امس كان عيدك، يا حبيبي...
وتصورتُني باقة ورد... وأحمَل اليك...
وقال على الطريق انفرطْتُ من شوق وضَنى...

* * *

لن أبقى موجعة ما دمتَ أنتَ أخاً للشمس.
أموت؟ لا عليّ. أعرف انك ستكون بطلا وانك ستزميني بورد.

* * *

لم يسندني احد بالعنبر وزهر الليمون، عندما ذكرتُ اسمك.
وصيفتي كانت غائبة.
تداويتُ ببيت شعر من أشعارك.
لكنّه زاد شوقي شوقاً.
تعال.

* * *

لماذا تشرق الشمس، يا حبيبي، لِماذا ينَدّي الندى الزهور ؟

اما يكفي ان تُمِرّ عينيك الذهبيتين على افترارِ السهل وقِمم الجبال ؟

هذي انا اعيش لان اصابعك خلطت، ذات امسية، بين شَعري وضوء القمر...

* * *

مررت ببيتكم هذا الصباح، يا حبيبي.

كان شُباكُكَ مُغلقاً...

غُمَّ قلبي. واحسست الدنيا بلا ياسمين.

وهذا المساء اخشى ان أجد نجوم الفلك ذابلة مثلي.

* * *

كانت الغابات تهتف باسمك، يا حبيبي.

كان ضوء القمر يَهطل عليك، يوم لم يكُن بعد قمر...

اليوم، وقد وجدتك، اسكَتُّ الغابات...

خبأت القمر تحت طراحتي...

ليكون لي وحدي ان اتمتم باسمك، وان أدفّقَكَ بنور ابتسامتي.

* * *

اليوم، اضاعَتْكَ عيناي، يا حبيبي.
قلبي، هو، قال انك لجأتَ اليه...
تعال واشْفِ عينيَّ من غيرة...

* * *

غداً سأراك، يا حبيبي
وأغمض عليكَ عينيَّ... واحجبك عن الدنيا... عن عابديك وعني...
وعندما تكون مرتاحاً، هناك، سأهمس في اذنيك انني ابتكرت لِحُبّنا كلمة اجمل من « عبادة ».
من اسمك اشتققتها، يا حبيبي.
اسمعني، اسمعني افعل واعيش.

* * *

مررتَ ببالي، يا حبيبي.
أحسَستُ بالي جنّة ورد...
ووددتُني لو اكون انا مررتُ ببالك...
واسكن الذي يسكنني... ومن اجله اخترع الورد من جديد...

* * *

هذا الصباح أحِسُّ قوامي موجَعاً...
ماذا! هل غار من الحورة التي تغنيّت بها ؟
او انه اشتاق إلى زندك الذي لم يطوِّقه منذ غِياب القمر.

* * *

لمْ تكتُبْ لي.
تُراكَ نسيتني ؟
انا، حفيف اوراق الشجر يقوّلني اسمك، والوردةُ تحمل إليَّ رائحة ثوبك...
امّا ضمتك الأخيرة، ولو انها كانت من عينيك، فلا ازال أحسُّها تطوق عنقي...
أكتب.

* * *

قرأتُكَ امس. رددتَ الروح الي.
تعرف ؟ لولا قَلَمُكَ كان جمال قامتي في وحدة...
اكتب.
فمي، الذي اشتاقَ إلى قبلاتِك، يكاد ييَبس.

* * *

عيناي تعبتا من التطلع إلى الطريق التي ستنقلك الي...
وأحياناً تشاركني الطريقُ البكاء...
عجّل وامسح جفونها هي...
انا اعتدتُ الدموع...

* * *

صديقتي وانا حديثُنا انت.
كما، في الربيع، حديثُ ورقة لورقة وقد طلعت الشمس...
الشمس لا تطيل الغيبة... سحابة ليل وكفى...
اعرف انك لا تجد اجمل مني. إسمع:
اجمل مني قبلاتي، تلك التي اخبّئها لك منذ كنتُ في بيت شِعر.

خبروني انك لا تحِبُّ سواي.
حقاً سكنى قلبك ممكنة ؟
انت، منذ زمن بعيد، تسكن بؤبؤ عيني، وجمالي، وهذه الضمّة التي تَتَفلّتُ منها احياناً لتبقيني في شجن.

* * *

قلتَ لي انك ستُجَنّ ان قلت لك: انا احبك...
جنونُكَ ؟ ما هم...
همَّني أنني احبك.

* * *

تعرف، يا حبيبي ؟ ما اظنني جئت إلى الوجود انا، ما دمت انت تطيل الغيبة.
قل لي انك آت.
واكون.

* * *

استيقظتُ هذا الصباح لأجد غصنَ ورد يدخل عليّ من الشُبّاك.
وردتنا لم اكن اظنها وقحة...
ومر ببالي ذراعان لك... وآخرُ عناق...

* * *

كنتُ جامدةً في لقائنا الاخير، يا حبيبي.
ولكن انت لماذا لم ترشقني بعتاب ؟
اليوم، وانا بعيدة عنك، اراني أميل كغصن.

تعال واسندني بضمّة...
اجعل قامتي نايَ قَصب.

* * *

زياراتُك تتقطّع !
تراكِ تحبني اقل ؟
وقولُك لي: « ما أحببت اجمل »، هل نسيته ؟
عُدْ او يعتري جمالي الذبول.

* * *

عقد الياسمين، الذي طوقتني به، صار وديعة في كتاب...
عُنُقي يغار.

* * *

امس سمعتُ صوتك، يا حبيبي. احسستكَ تملكُ الدنيا لِقولي لك: انا هنا.
أنتَ اين، يا اغنية عَلى شفتي ؟

* * *

لم نتلاق يا حبيبي. مع انني دوماً حجرُ فيروز في خاتمِ يدك.

ضَع يدك على صدري فأنام طويلاً... وما هم ان لا اعود إلى اليقظة...

* * *

ها هو نسيم الشَمال يبعثر شعري.
اعرفك، يا حبيبي، تحب رؤيته متدرياً...
واحبك انا مرتاحاً عليه.
تعال...
وكوردة يُقطَف لنا الوجود...

* * *

عيناك، يا حبيبي، ألا تسألانك عني ؟
جمالي يكاد ييبس بعيداً عن بصرك الحلو...
من بعيد طوق خصري...
طوقه ولو بالفكر...
وأعيش...

* * *

جسدي وعظمي هما هذا الجمال الذي قرأت عنه
وأنت بعيد. ماذا لو قرأتني انا ؟!
شاعرٌ ؟ لَكِنْتَ صرتَ الشِعر.

° ° °

لن اراك اليوم، يا حبيبي.
ورقة من شجرة العمر تكون سقطت...
كدمعة على خدّ...

° ° °

ظننتَ حبي فَتَر ؟
اسأل الوردة التي على شُبّاكي.
هي تقول لي أنني أنضر منها.
وانا نضرة، يا حبيبي، لأنك ستجيء...
وستقطف...

° ° °

امس، فطِنتَ لي متأخراً.
جمالي تظن نفسَك بمأمن منه ؟
كُثُرٌ سواك أسمعوني تَعَبُّدَهم لي...

لكنني لم آبه.
وفائي لِحبّك له، هو كذلك، رأسُه العالي.

* * *

لِماذا تقلّل من إسماع صوتك ؟
الوردات في مزهريتي كن يصغين إلى المكالمة.
ويشاركنني التفتُّح...
إسعف ورداتي بواحدةٍ كلماتُها لا تنسى.

* * *

مِخدعي يقول لي انك ستجيء.
لا تكذب خدْسَه...
يحزن... ويروح يمزق الذكريات ويَقْشرُ الطيب عن الجُدُر.

* * *

من بعيد، سمعتُ صوتك، يا حبيبي.
قال لي ان الوجود قيثارة، وانا عليها وتر.
اعزف، يا حبيبي، اعزف. وفوق التلّة هناك فلتُجنّ النُجيمات.

* * *

هذا الصباح عجبت للريح في حديقتنا تترك شَجرة التفاح لتلهوَ بأغصان غرسة اللوز المنزوية.
غرسة اللوز صغيرة.
خِفت عليها.
أوجعني المنظر ! وتوزّع بالي على الف طريق:
تصورتك، يا حبيبي، تتركني إلى من هي افتى...
حنانكَ لا تفعل، ولو أنك أعنَف من الريح.

° ° °

انا بانتظارك، يا حبيبي، بانتظار همسة منك في أذني...
تعرف ان تطوق... وان تحمل الوجود على زهرة.

° ° °

يَسكن العطرُ، يا حبيبي، في حقل او في قلب وردة. أو يكون طلقاً في فَضاء...
انت أضعتَني. فلا أنا عندي ولا انا عندَك.
ولا انا حرةٌ بان أموتَ بِك.

° ° °

لماذا، يا حبيبي، أمس، عندما مررتُ بسنديانة، انفجرتْ طلعتُك ببالي ؟

كانت الريح تعصف.
وعنَّ لي انك قد تكون مكروباً.
لكنَّ السنديانةَ صمدت. وسمعتُ لها ضِحكة...

* * *

طال غيابُك، يا حبيبي. وأنا أموت لأن أموتَ بِك.

* * *

في سهرةِ امس، وجِعَتِ ابتسامتي لرؤيتك تغازل سواي.
واصفرَّت.
تعال.
وأمِرَّ باحدى اصابعك عليها فتنتعش. وتلفَّكَ كأنَّكَ الحياة.

* * *

رجوتُك ان تقول فيَّ شِعراً.
ما انا وحدي التي ذَبُلت من انتظار.
الشمس، التي قلتها تأخذ مني، باتت ناحلةَ الشعشعان.
وضلعُ الزنبق، الذي في المزهرية، تأوَّه.

* * *

الشعر الذي كتبتَه لي كان موسمَ ورد.

ما كنت لأظنّ انك، انت كذلك، تخلق النيسان والنوار، كلما جرح قلبَكَ حسني او عصفَتْ بك اهدابُ عينيّ.

* * *

لِهنيهاتٍ خاطفات توهّمتُني لا احبك، يا معبودي...

وصارت النجوم تمر ببالي كخناجر...

ثم ثُبْتُ إلى ذاتي...

وخُيِّل الي ان خصري ارتمى على زندك والنجومَ تحولت إلى مرجة أزاهر... ورحنا نقطف...

* * *

بعثتُ اليكَ بدمية مرمر.

قال هي لحسني نقشَها فنان يدّعي العبقرية.

ترددت في اهدائك اياها...

اي فنّ ينقشني في الريح، معطِّلا من اجلي سير الزمن، كما تفعل ذراعك عندما تلتفني وتشيل ؟

* * *

كتبت اليك أنّي حزينة.
رُدَّ عليَّ بما يمسح الوجع عن صفحة قلبي.
إن بقيتَ صامتاً خيل الي انك تحولت الى دمعة كبيرة.
وتقولها وردةً وقعت من القمر، ليدفن فيها حبُّنا الهازئ بالزمن.

* * *

تقول لي أنّني خطرتُ على بالك ؟...
وأن اسمي غنّى على غصن حُلمِكَ الصباحي ؟...
وبالورد رشَقْتَ حروفَه الأربعة ؟...
لا تكذِب...
لو انك وَفيٌّ لشهامة حبّي لما كنت قرأت الأربعة الحروف الا على الأزيز والقَصْف.
لاعبِ الموت ولكَ ذرَاعاي تُطوّقان.

* * *

أن احبك هو أن أخترع نفسي.
قبلك، يا حبيبي، كنت خاطرةً، اغماضَةَ برعم، زقزقةً ما قَبضَ عليها عصفور...

بعد ان ضَممتَني، وانت ذاهب الى الجبهة، نُجِتَ صدري في الهنيهة وصرتُ بقَمرٍ ونجوم.

وغداً، متى عدتَ عاليَ الجبين، شُمَّ ثوبي، شُمَّني من فَرْعٍ الى قدم، تجدْني من فرحتي اختصر كل زهور الجبل.

* * *

أظنك نسيتَني... مع أن كل ورود الأرض وُجِدت لِيحطَّ عليها ناظري، كنت تقول...

ناظري أصبح تَعِباً.

ارمِ اليه بحضورك الورديّ.

* * *

أمس، وقد أسأمني الشوق، تقوَّيت بكتابة منك على حُسني، كما كانت جَدَّتي في صباها تتقوّى بتفّاح وياسمين.

أُكتُب.

* * *

قُل لي، يا حبيبي: بِمَ يتحدَّد الشوق ؟
أبأنك وُجدتَ في قلبي وقلبي لم يبق لي ؟
إنْ عزَّ على بالك ان تردّه لي فردَّه ملآن. او لا فما لقيتَني على رمق.

* * *

هذا الصباح، قطفتُ وردةً، يا حبيبي... ونتَّفتُها... وبددتها على مهَبّ النسيم...
يبدو اني كنت حانقة عليك...
فثارت الوردة...
عُدْ، عد اليّ، أعِدْك بأن ألملمَها بجفوني...
وتضمُّني... وقبل الربيع، يكون الربيع...

* * *

طلبتُ منك شِعرا يُغنيني.
وألححت.
لم تستجِب بعد...
اعرفك، اعرف. تقول في سِرّك: هي القصيدة تطلب أن ينظم فيها قصيدة...
وتسكر... وتروح تفكر باختراع عرائس قول... لتكون

كلماتٌ جديدة ويكون شعرٌ خليق بجمالي...

بقيَتْ همسة لي في اذنك: أمس، سمعتُ مَن قال لي أنني الحُسن يمشي على قدمين...

قل أجمل...

* * *

هذا الصباح تغامزت عليَّ وردة وياسمينة تقولان انني ذبُلت...

عد اليّ، يا حبيبي، أو تقولهَا الثرثارتان عاليا...

ويعرف الجيران...

* * *

غداً، سأراك بعد غياب، يا حبيبي.

ستسمّيني أم لا « الهتك » ؟

ما هم...

أمّا أنا فسوف أشك حسني بدبوس في هنيهة من هنيهاتِ وجودك.

* * *

قال لي عالِم ان السكون أُغنية.

ورحتُ أصغي.
انتظرها تصل الى اسمِكَ، يا حبيبي.

* * *

لم أرك منذ أسابيع، يا حبيبي... إبعَث الي برسالة... ورقة عذراء البياض، إن شئت...
اضع عليها خدي وأحلم...
أقول: عليها كان يكتب اليّ اجمل ما لم يَكْتُب.

* * *

خطأً هتفتُ باسمك، هذا الصباح، يا حبيبي.
كانت الشمس تُشرق...
ظننتُ نورها شعرَكَ الاشقر...
قلت: تعال...
لكن، عندما بقيتْ ذراعاي فارغتين... ايقنت أن الشمس ليست انتَ !

* * *

وعدتَني بأن نلتقي.
وكعادتِكَ ستُخلف...

أنا سأحتفظ بِقبلاتي لأضمّها الى قبلات الموعد الآخر...
ويتكدَّس ربيعٌ فوقَ ربيع.

* * *

هي أجملُ مني ؟...
لا تكذِب على نفسك...
انا الأغنية وهي الصدى...
أنا العناق وهي ليست التأوُّه...

* * *

رأيتُكَ تُطيل النظَر الى فمي ؟
تراك ظننتَه بيتا من شِعر، فرحت تسرق عنه أصولا لا تَعرِفها ؟...
دعك من التأمل فيه... قَبِّلْه.
ولتسكر الدنيا من نغم قبلتك...

* * *

حقاً قلت لي انكَ ذهبت لكي لا تعود ؟
خيل الي أن الكون ألوف ازهار...

وجمعتها أنا برفش...
ورميتها...

* * *

حُبَّني، يا حبيبي.
خَلِّ الفلَّةَ بعضاً من ابتسامتي، والنَصْل رنينهُ من نغمة خصري.
امس اتَّهموني بأنني لنفسي، بأنني لا أسكر الا من الكأس التي هي جمالي...

* * *

دعهم يثرثرون...
حبني ولا يهمُّك...

* * *

نسيتك يا حبيبي ؟
لا.
وانما، بعد أن فتَحَتِ اللوزةُ تحت شبَّاكي، ومدت عُنقَها تتطاول، انتظرتك أنت تفحم حُسنَها بكلمتين على حُسني.

* * *

باكراً، في إغفاءة الصباح، رأيتُ حُلما...

قال انني كنت اعاتبك. اردّدُ: «أنا لا أحبك، يا حبيبي».

لا تصدّق...

وما بقي من الحلم إلا الكلمة الاخيرة...

* * *

تقول لي ان كل ما تكتبه من غزل هو لسواي؟...

أريد أن أصدق.

غزارتك هي قَوامي، وصفحتك ذراعٌ بيضاء طالما مُتُّ عليها وحَييت...

* * *

تجلُب اليَّ القمر... تجلب اليَّ الشمس... كلمات...

الذي يَهمُّني هو أن تجلبني مني اليك!...

* * *

انا مريضة اليوم، يا حبيبي. صوتي غير رخيم الرنة. لهذا لن اتلفّظ بأسمك.

تعال، وداوِني بقبلة...

* * *

ما أزال ناحلة الجسم، موجَعة...
ابعث اليَّ بوردة من عندك... وبكلمة...
بالأُولى أَشُمُّ جسمك... وبالثانية أُسكن بيتَ الشعر...

* * *

كل شيء بحثُ لك به، يا حبيبي،
أفرغتُ نفسي من نفسي وملأتها بك.
فقل لي قل: «هذا جَناحي، ارمِ جمالك عليه، ولْنَطِر الى الوجود».

* * *

كتبتُ اسمك على ابتسامتي.
تلك التي تُحبّها وتقول فيها أنها حدود الوجود.
شفتاي اشتاقتاك.
عد اليّ لا تتأخر.
وبأبتسامَتِكَ، امحُ الكآبة عن ابتسامتي.

* * *

ليلةَ امس عانَقْتَني في الحلم، يا حبيبي. كذلك قبلها بليال...

هذا انا اعتَذْت...

الليلة ان لم أُعْطَ ان أحلمَ رجوت الشعراء أن يخترعوا ظلاما آخر، أرأف... وفيه ذراع لك وعِطر، وحُبٌّ كثير.

* * *

عندما رحتُ اكتُبُ عن الشمس، كنت بقربي...

الآن أتساءل عن أيّكما كَتبت.

* * *

اخيراً التقينا، يا حبيبي...

لم أدر من منا كان أشعر... وجودي، انطباع حسني على الليل، أما قال لك أجمل القصائد ؟

إقرأني، يا حبيبي، وعش...

ولْتعشِ الساعات...

قرأتك أمسِ، يا حبيبي. قرأت الرجولة في كَلماتك.

وخيل اليّ انني عروس بطرحة من غمام وبرق...

وتزوجتُ السيف !

تخيلتُك تكتب ونجومٌ جديدةٌ تَنشَكُّ في قبّة الليل...
لا تكذِب.
كنت أنا على زندك...
أو كان الليلُ بحر عينيَّ...
وأنت فوقه شراع ضائع.

* * *

هذا المساء، من أجلك يا حبيبي، سأرفع عيني الى السماء.
وتعطيكَ السماء.
لا، لا تقل بعدها ان عيني تذبحان القلوب وتكثّران النجوم...

* * *

امس، وأنا أطوقك، يا حبيبي، احسستُني عقد ورد.
هل وَخزك شوكي ؟
لا تأبه، ان حبي يعود يلسم الجراح...

* * *

لم تكلّمني عن حب، حُبُّكَ لي.

بل رحت تلاعب على اصابعك الافكار والنجيمات.
اعرِفُكَ تريدني.
وددتُ لو تسهو عن الكون، وتجعلني أنا احدى نجيماتك، أحدَ أفكارك...
وأَرقص، ارقص على اصابعك التي ولا آنق.

• • •

أمس وجِعتُ من شوقٍ اليك...
فأوصيت شقيقتي الصغيرة بأن تخبرك عن حالي.
لا تُعَنِّ نفسكَ في التفتيش عن اسم شقيقتي...
وحدَها اسمها بنفسجة...

• • •

تقول أنك اختفيت أمس بين سمع الارض وبصرها ؟
هذا شأنك مع الأُخر...
أما أنا فأعرفُك تسكن قلبي.

• • •

هذا الليل كان عاصفاً.
أحببتُه.

تخيلته رجلاً ذا زندين قويين. تخيلته أنت.
تعال، يا عاصفي، وكَسِّرني على صدرك.

* * *

أمس، كنتُ حزينة...
طريدةَ عرشي...
فعرّجت عليك.
عِقد قبلاتك الذي طوّقْتَ به عنقي رَدَّني ملكة.
ومن جديد قرأت كتاب الوجود على ابتسامة شفتيك.

* * *

تأخرتُ عليك، يا حبيبي، فظننتني نسيتك ؟
شجرةُ اللوز في آذار لا تنسى الإله الذي كوكَبها بالزهر والقصائد.

* * *

قيل لي أنك عبثا اتصلتَ بي... قال كنتُ في غيبة...
لماذا أنت ؟
ومتى كان على معنى القصيدة ان يحاول الاهتداءَ اليها ؟...

امَا هي التي تضمُّه... وتسكر به... وتعيش ؟...

* * *

أحِسُّني ضعيفة.
تعال
احسني ضعيفة وانت جناحان يركبَّان لي... وأصبحُ أخْتَ الطير والغمام الابيض والأمل...

* * *

امس كان الرجال يتكلمون عليك.
كانت الرؤوس شامخة.
انا تمتمت في سري: «هو حبيبي».
فاذا الزنابق تميس، والبنفسج يضوع عِطرا،
وتقول السنبلة للسنبلة:
ـــ حبيبُها ملءُ عنفوان الجَبَل.

* * *

لا تَدُر حول بيتنا، هذا المساء...
غرسةُ الورد على شُبَّاكي لن تَهشَّ لك...
ستقول لك، ان هي قالت شيئا: «أميرتُكَ حزينة...

تركتَها تتنازل عن دمها الذي هو دمك... ماتتِ الضحكة التي كانت ستمشي على قدمين ! ».

* * *

تنادرتَ في الأطلالة علي، يا حبيبي...
الشمس تتنادر...
لكنها، متى جاءت، تُحتضن وتُعانَق كمن لها ذراعان، وتُضمّ.

* * *

مَرَّ ببالي انني قبضت عليك، يا حبيبي...
كيف ؟
وأنت الريحُ والأملُ والبطولة.

* * *

اخيرا سمعت صوتك، يا حبيبي.
صوتٌ معافىً.
خيِّل اليّ أنني جزيرةٌ ومن العلاء، فوق، هبط عليَّ نسر.

* * *

هذا المساء سألقاك.

وسألقاك غداً،
وبعد ألف عام سألقاك.
دوماً دوماً، سأجدني مرمية على صدرك.
كنجمة على صدر الكون.

* * *

أمسِ، ليلةَ عرّجتَ على بيتنا، يا حبيبي، بقيتَ بعيداً عني...
اما أنا فقد كنت أسكنُ في قبلة لا افهم لماذا لم تَقْطِفها.

* * *

على زقزقة العصافير سأكتبُ اليك، يا حبيبي.
وحدَها العصافيرُ تعرف ان تتنقّل...
كقلبك المتنقّل...

* * *

أمسِ لم نلتقِ، يا حبيبي.
ورقةٌ من شجرة تشرين وسقطت. رُدَّ يومي وردةً...
وانا شذاها...
وأنسِمُ عليك...

ليلتي أمسِ، قضيتها لم أفكر فيك، يا حبيبي.
هذا الصباح، خيل إليّ ان هفوتي بحجم الأثم...
تصورْ حوضاً نسيَ غرسةَ الورد التي تكوكِبهُ.
غداً عاقبني، يا حبيبي. هنيهةً تجد صدري الرائع منقوشاً في الهواء، قل له: لا لستَ من صُبحين.

* * *

كتبتُ فيك شعراً، يا حبيبي.
ذُهِلتْ رفيقاتي لما تلمّسن فيه من جديد على مُضيّ الساعات، والهموم، واللعب على وتر الموت والحياة.
بلى يا حبيبي، أنت سأحبك وسْعَ حياتي، ووسعَ الموت.

* * *

تقول لي انك تحبُّني وحدي ؟
صِدْقٌ كلامك ام كذب ؟
ما هم... يهم ان ثمة ضِلْعَ زنبقٍ يموت ان لم يَسقِه الندى.
هو أنا.
أنت هل تعرف أن تكونَ الندى ؟

* * *

أمسِ لم أزرك، يا حبيبي.
قصدا قصدتُها.
اردتُكَ حوضَ ورد يبقى بلا ندى.
لكنني كنت مجروحة في سرّي.
قُلْ لحوض الورد أنه إن هو جفا علمتُه أنا الوفاء.

الانَ، وقد نسيتني، يا حبيبي، اتذكَّر منك أنك ولا مرة تفوَّهْتَ بكلمة حاقدة.
ماذا ! تُرى البغض بغيضٌ إلى قلبك ؟
كأنَّ كلَّ كلمة من كلماتك ذراعان تطوقان ؟...
واقول لك: طوِّقني ولو ببغضك.
بغضُكَ نفسهُ لذيذ.

قلتَ لي، يا حبيبي، أنك عشتني لزمنٍ سعيد، كحلم ليلة صيف.
أنا لا أذكر...
كلُّ ما اعرف انني كلمةٌ عصفورة.
ولم أحُطَّ بعد في قصيدتك...

أُكتب إليّ، يا حبيبي.
على ورق الانتظار اكتب...
اذ الورق الآخر أخذ يتناثر كخريف قبل الخريف...
وقبلتك الأخيرة باعَدَ بها الزمن، وغدت شفتي تسأل فيها: « تُراها كانت ام كانت كذبة » ؟...

° ° °

كأنك لا تعرف الشوق، يا حبيبي.
الشوق هو أنا وقد غدوتُ أذوب من انتظار.
وتقول لي الوردة: أنتِ أكبرُ من شم وضم.
لكنني أسكِتُ الوردة على امل وصول ذراعيك إلى ما حول خصري...

° ° °

هذا الصباح، فتحت شبّاكي باكرا، فدخلت عليّ الشمس صبيةً فاتنة.
تُراهاً مرت بك، يا حبيبي، وغازلتَها ؟...
كدت أغار.

° ° °

لا لا لم أضِع في حُبّك.
كنتُ الحُبَّ والعقل معا.
وغدا، عندما يفهمون الكون اللغزيَّ المهابة، أقول لهم: أنا أعرفه... قرأته في قلب حبيبي... وعلى زنده كان يتساقط عليَّ عِلْمُ الفلك مع النجوم والقُبُلات...

* * *

ذهبتَ، يا حبيبي، ذهبت... وعيناي بساطُ ريح يَحمِلُكَ إلى حيث تبقى في قلبي.
من هناك، من قَلبي، ابعث إلي بقبلة...
وأحسُّني عاشقةً كلَيل ؟...

* * *

حقا أنتَ الريح، يا حبيبي ؟
سألتك لا تمرَّ على غصن الورد.
تسحقه.
غصن الورد، هذا أنا.
تهجُرني، يا حبيبي، حتَّى آونةَ تكون معي...
بتُّ اخشى على شَفتي ان تُصبح وردة... ولا تعرف ان تطبق على شفتك...

قلتَ لي ان فمي من نحت دوناتلُو.
اقوالك اشعار حلمتُ بأن أخطَّها يوم كنتُ ما أزال
غزّارة نابتة على سفح لبنان...
وتلعب بها الريح... يميتها ويحييها الحب...

* * *

زياراتُك تتنادر، يا حبيبي.
الوردة التي هي أنا يقلُّ عطرها.
أنتَ عطرها، يا كريم الغياب.

* * *

بعثتُ اليك برسالة...
لم تكن على ورق...
سائل عنها الليل...
وان هو غدر بالآهات فلا تلمني أنا.
الليل صديقُ أشعارك.

* * *

اخيرا وجدتك، يا حبيبي.
قلْ لجمالي أن ينهارَ على زندك...

هناك، يعود يشهق عالياً، كأنه بناية تلاعب الريح.

* * *

يوم تركتَ بيتنا، اصبح لي قلبان: واحد تسكنه بعد اليوم وآخر أشقى به.

عد الينا، يا حبيبي، فأرميَهما على طريقك زهرتَي بيلسان.

وتدوسهما انت فيما تروح تدخل مخدعي.

* * *

قرأتُ انك عرَّجتَ على الجبهة.

أعرفك جنديا، لم استغربها منك.

تَفَرُّسُ الرجولةِ في الموت يُلقّن الجنود كيف صَدُّ الموت.

هَاكَ ذراعَيَّ ممدودتين إليك...

وصوتي في أجمل غناء...

* * *

من بعيد بصرت بك، يا حبيبي...

خُيِّل إليَّ ان عينيَّ [illegible].

اسكنُه...
فيغدو قصراً أعمدتُه بعلبكيّات.

* * *

حبيبي، لا اريد ان اصدق انني سأتركك...
عيناي ستظلُّ انت تسكنهما، وإن اختطفني من نفسي آخرُ غريب.
وحدَه الموت يقيني لك...
لماذا لا تزال لي الحياة ؟

* * *

يَدُكَ التي طوَّقت خصري، اشعرتني بأنني على زند بطل.
قل لي، كرَّةً أخرى، انك تُحِسُّ النجوم تنفرط على قدمي.
واضيعَ في قولك...
واضيع.

* * *

سمعتُكَ تقول لي أنني الهتك...

وانني إن انا كفَفْتُ عن حُبّك فأنتَ لن تكفَّ.
قُلها، قلها للنسيم، لِلفجر، للصاعقة.
أنا عملت من الوجود مزماراً يغنيك.
اكتفي منك بأن تخبره بحالي.
كان بامكانك ان تجيء على هبة نسيم، يا حبيبي القريب البعيد، او على شعاعة شمس،
لم تفعل.
من قال لي ؟
كلماتك عند الوداع، آخرَ مرة،
لو انها كانت حرًى اكثر لكنتُ، هذا الصباح، مرَّغت عيني على النسمة، على شعاعة الشمس، اقول لها: أنتِ حبيبي.
تعلّم كيف تودّع بان لا تودّع.

* * *

أمس سمعتُ أغنية جديدة.
جمالها دمَّرني.
لكنني لم احفظ منها سوى « أنتَ » و « حبيبي ».
بالي تدندن اليوم الأغنية...
لا لم أبقَ أنا أنا.

صرتُ «أنت» وصرتَ «حبيبي»...

* * *

لا تمرَّ تحت شُبَّاكي هذا المساء.
نقلتني أمّي إلى غرفة داخلية...
أمّي لا تعرف أنّ لي قلبا.

* * *

حقا ضَمَمتني بذراعك ؟
انا لا اصدق...
بعدَها، يا حبيبي، صرت أنا الروض... والزهر... وندى الصبح...
قل لذراعك ان لا تطيل غيبة...

* * *

الليل دافئ... مع انك بعيد، يا حبيبي...
ترى عبير ذراعك ما يزال على زنبق خصري ؟...
أبقِها لي هذه الذراع، أو يذبلَ الزنبق.

لم أعرفك الاَّ امس.

مع انك توسَّدتَ شَعري الطويل منذ أكثرَ من عُمر...
أمس، كنتَ أنت الوردةَ وانا الندى الذي وُلِد فجأة في قلب الوردة...

أطبِق ورقاتك عَليَّ او يَهربَ بي القمر...

يقرأونك، يا حبيبي، فيخيَّل اليهم أنك تغني سواي...
أنا أتغلغلُ بين سطورك، فاقرأ هَيَفَ قدّي... وعسَل عيني في كل حرف...
كلامُكَ، الذي أردّده سرا، تحتَ اشجار الحديقة، قبل له ان يكفَّ، او يصفرَّ الياسمين...

وينوجعَ التفّاح الذي به أتداوى...

هذا الصباح حملوا إليَّ باقة ورد...

لم تكن منك يا حبيبي... كدت لا أنشَقُ لها عبيراً...

إنْسِمْ عليّ بزيارة فاغدوَ أنا باقَةَ الورد.

تسألني ان اغنّيك، يا حبيبي ؟
اغنيةٌ، انت ساكنها، اطلقها في الريح... أُخاف أن تتلقّفها النسمات... وجِنّيات الرعد... والنجيمات المتشيطنة...
ويتقاتلن على من تكون لها أنت...
دعْكَ، دعكَ بالأحرى في قلبي... وغنِّ أنت.

* * *

سأكتبُ اليكَ، يا حبيبي...
سأكتبُ فيك...
لكنني، قبلها، أريد ان اقرأ في عينيك...
افتحْهما، يا حبيبي، وأُغمضهما عليّ.
فأغدوَ أشعَرَ الشاعرات.

* * *

امس، مررتَ بإزاء حديقتنا ولم تلتفتْ...
أزهار حديقتنا اليوم ذابلة...
تكتفي بالتعبّد لزرقة السماء بدلاً من زرقة عينيك...

* * *

رُدَّ الاغنيةَ إلى شفتي...
رُدَّ لي اسمَكَ الذي من أجله كانت لي شفتان...
ومن أجله كان غناء...

* * *

أمس كففتُ عن التفكُّر بك، يا حبيبي.
كان قلبي كلُّه عند آخر.
اكبر منك، لا كثيراً، واجمل.
بلى، نمت سويعاتٍ بين ذراعي لبنان.

* * *

قلتَ لي انني غدوتُ اجمل من سماء مكوكبة... ومن الحب... ومني... مني؟
لقد غرت أنا مني...
حُبَّني أقَلَّ او حبني اكثر...

* * *

باقةُ الياسمين التي في الاناء على شُبَّاكي انبأتني بأنَّك مريض...
كانت هي مريضة...

لِتعجّلْ ياسميناتي بالشفاء... لتغالب الفجر ضوءا...
والعصفور قفزاً وغناء.

حقا عزفْت على عودك الذهبي لحبيبة أُخرى ؟
لا علي...
أعرف ان مركبك سيضل أحيانا طريق العودة...
لكنَّ قلبك سيبقى لي...
وأغانيك، التي لم يَنظِم مثلها شاعر، ستستمر تغني عينيَّ
العسليتين... وصدري الذي من شَطْرَتَيْ قمر...

زرتني في الحلم ؟...
زرتني في اليقظة ؟
كل ما أعرف أنَّكَ في الوجود... وأن خصري مرشح
لأن تشيل به ذراعك...
ونطير...

* * *

أُكتُب لي على ورق النار...

اكتب لي أنك تحبّ سواي...
ولكن ابقَ الشاعر الذي زعمتَ انه خليقَةُ عينيَّ الذهبيتين...
اكتب، إن صمتكَ يُقصِّف الليل عليَّ جليدا...

* * *

عرَّجتُ عليك ازورك...
لم أجد في مخدعك سوى شمعة وديوان شعر...
ديوانُ الشعر هو انت منقوشاً على الأيام، إلى الابد...
اما الشمعة فقد تكون حُبَّك لي الذي سيذوب...
أسكِنّي ديوانَ الشعر او أموت.

* * *

إلى زمنٍ بعيد وذِراعاك لم تطوِّقاني...
كدت انسى طعم قبلاتك...
وحده شذا الورد، الذي يهبُّ من صوب بيتك، لا يزال وفياً...

* * *

حلمت بأنني تلملمت وتلملمت...

حتى صرتُ قبلة...
وانرميتُ على فمك، يا حبيبي...
لا تَفضح حيلة حُلمي وتردَّني انا انا.
احبسني، بالأحرى، هناك بخيوط ابتسامتك التي ولا الشمس ولا القمر.

* * *

رُدّني إلى صدرك... لقد ابعدَتني عنه الأيام... والاسابيع...
ردّني اليه، يا حبيبي، ثم أُطبق عليّ ذراعيك...
وشدّ... حتى نتنفس معا،
وكأننا قلب واحد ينبض بكل فراشات الحقول !

* * *

مررتُ امس بحديقة بيتكم.
كانت مشتعلة بالمنتور والزنبق.
لكنني لم اشاهد شُبّاكَكَ مفتوحا...
تُرى دَخَلَتْ عليك زنبقةٌ واقفلته وراءها ؟
أغار.

* * *

أخذْتَني مني، يا حبيبي...
أخذتني إلى حيث لا ادري...
لا تُبقِني في ضياع.
رُدّني إليّ، يا حبيبي، او ردَّني اليك...

* * *

بوِسعِكَ ان لا تُحبني، اليوم.
لكنْ حذارِ ان لا تُحبَّني، غدا.
بيتي أنا هو الغد، وذراعاك تطوّقاني، وقَولي لك أنك مَعبودي الوحيد.

* * *

دُرْتُ على المكتبات امس أُفتش عن دواوينك، يا حبيبي.
عرفتُها نفدت.
وعلى وجهي قرأتْ بائعة كتب سطورَ كآبة.
فهمست في اذني: لا تَقطعي أملاً. فتّشي بعد، فتّشي عند العصافير والزنابق، وتحت وسادات الصبايا...

* * *

انا غائبة عن بيتنا، يا حبيبي.
انت مُرَّ تحت شباكي، وارشُقْه بحصاة...
فقد أتخيَّلُني هناك...
واتخيلني فتحته...
وفي الهواء أرسلت اليك قبلة...

* * *

كيفَ اقول لك ان موعدَنا تأجل ؟
سأقولها بان اجعل كل ورودنا في الحديقة منكَّسةَ الرأس...
لا تقفز على سور حديقتنا، هذه الليلة.
سُلَّمُ المرس الذي أدلي به اليك، عادةً، سيبكي مَعَ جدائلي التي لم تنعم بلمسات يديك...

* * *

النسيم الوافد من صوب بيتكم، يا حبيبي، سألني:
ــ هل تحبينَني ؟
غصَصْتُ بالدمع.
كأنني به أرادني إلى خيانة.
لكنني طمأنته. قلت له: أُحِبُّ عِطرَك، يا نسيم، لقد

مررتَ على جبهته... وتمرَّغْتَ على شَعر صدره... فلكَ منه رائحةُ الرجولة ولهجةُ العنفوان.

* * *

باكراً اليوم عرَّجتُ على مخدعك، يا حبيبي.
فقلت لي: اهلاً بالعمر.
ثم همَسْتَ لصدري: صباح الخير أيها الصبحان...
لكنك عدْتَ تمحو كلماتِك واحدة واحدة...
ماذا ! حقاً انا اجمل ؟
دُسَّني بين كلماتك الحُلوه، لأهمسَ في آذانهن ان حبيبي خُلِق يوم خلق الشِعر والسَحَر وحُسني انا.

* * *

تركتَني موحدَة، يا حبيبي !...
ما عمِلت ؟
خلوتُ إلى عندليبي، ذاك الذي أعرِفُكَ تغار منه...
ورحنا أغنّي له ويغني...
هذه مشاكسة لك...
لكنني، وكأنني نسيت، ثلاث مرات ناديته باسمك والدموع تزرع خدَّيَّ باللؤلؤ...

زُرتَنا في بيتنا، لتقول انك لا تخشى وهج جمالي...
وأُصَدِّق أنا...
حتى طيبتي كانت تدمّرك...
وتخيلتُكَ تصرخُ في وجع:
ـ يا معبودتي، حياتي صحراء بدون الزنبقة التي هي أنتِ...

* * *

سألقاكَ اليوم، يا حبيبي.
وتنهار على صدري...
وأقولُكَ نجماً سقط على الأرض !
وترتعش لجمال حبنا زنابقُ لا تزال في ضمير الربيع.

* * *

كتبتَ اليَّ تقول ان جمالي هو اغنية القمر.
وانت، زندداكَ ما زنداك ؟
انهما كُلُّ عزم الجبال، واختراق نظرات النجوم، ونبض قلب الشمس.
قل لهما أن يطوقاني في ضمة لا تنتهي...
وفي قبلة هي وحدَها الأغنية...

* * *

التقيتك، يا حبيبي...

واين ؟

على زندك...

وساءلت نفسي: الريح، هي انا أم الأغنية ؟...

ورأيتك تفركُ عينيك.

ـــ لا، تقول، ايها الحلم لا تهرب...

* * *

حقاً غداً انا على زَندِك ؟...

قل لهذا الغد ان يمحو الربيع... والوجود... والحبَّ...

إغماضةٌ من عينيك، وانا داخلهما، هي الربيعُ والوجود والحبّ.

* * *

ردَّدتَ على مسمعي أنكَ تحبني ؟...

انا جاوزت هذا...

أُخترع لكَ، كلّ يوم، حبا.

حتى اذا غبت أنت رحت أحِبُّ هذا الحب !

ولكن اسمع ـــ وأبقِها سِرّاً عليك ـــ: لا شيء، لا شيء كحبك، لذيذ.

على ذراعك، يا حبيبي، عشتُ بضعةً من ليل.
انها لَعُمر.
غداً، ان انا أفلَتُّ من الحلم، اركض انت وراء الزهور والفرافير...
ولملمني...
اكون قد صرت الشذا من وردة... ورقّةَ الجناح مِن فراشة...

* * *

أمس أفْلَتُّ من بين ذراعيك، يا حبيبي...
أفلتُّ لكي ألجأ الى قلبك...
لا تَغضبِ عليّ...

* * *

ذهبتَ، يا حبيبي...
بعيداً ذهبت... فَمِن قائلة لي: إلى ذراعَيْ غانية... ومن قائلة: بل إلى التشرُّد في قلب من ليس لهن قلب...
انا لن اقسوَ عليك، ولا على نفسي...
سأُبقِي لك قلبي ودارتي خليقين بما علّمَتنيه أُمي...
لكي تعودَ، يوماً، وتجدَ دفء الشهامة الذي لا سِواه يبلسم جُرحَك.

* * *

زرتُك أمسِ كطيف، قلت ؟
ذكّرتني بأن وجودك في سعادتي هو كذلك طيف.
من يدري ؟... غدا تضمك ذراعا أخرى...
اموت انا... بين الغيرة والتساؤل:
ــ وانتِ، يا ورود، لماذا لا تموتين ؟

أمس مسستُ زندَك، يا حبيبي.
هل كنت تدري ؟
لا ادري...
سوى أنني نمت وكأنني كلمة في حكاية...
قل للاشعار ان توقظني...
وللتفاح أن يسند خصري المُسَقمِ من سعادة...

غدا ستكون في الجبل، يا حبيبي.
لوردةٍ تداعب شباكك...
لسنونوات تحوم عبر لفتاتك...
لعازف يلحن لك شعرك...
ستطرب انت هناك، وابقى انا هنا مُوحَدة، موجعةَ
قلب...

لكن زندَك، الذي اكون مرتمية عليه بالبال، سيحزن...
كفكف دموعَه ان قدرت...

* * *

مروري امس ببستاننا جعل الورود تتلفّت.
قلْ لغزّارةٍ بيدك تكتب ما لا اعرف أن لا تغنّي شذا الورود...
شذايَ أنا أطيب...

* * *

لم تُعَرِّج على بيتنا، أمسِ...
استأثر بك الجبل...
انا غمزتُ الشمس العالية ان تكِفَّ عن تتبّع خطواتك...
خيّل اليّ أنها هي أيضاً تغار...
عد الى هنا. هنا في المدينة، الشمس لا تُرى...

* * *

عرَّجتُ عليكَ، أمسِ...
لتُغمضَ عينيك على ضِحكتي التي تقول فيها انها تُميت وتحيي...

ولاذكّرك بقبلاتي...
لا تكذب... انت الذي قلت في قبلاتي انها ليست الخمر...
لكنك سكِرت.

* * *

قلبي وحديقة بيتك في الجبل يعيشان اليومَ على ذكرى الندى !...
رُشَّ عليهما منه او يَخلعا حزنهما على الشمس...
الشمس وحديقة بيتك وقلبي ما غيرُها شجراتِ اللوز.

* * *

أمسِ التقينا مرتين، يا حبيبي.
في الأولى، تأرجحتَ انت على ذِراعي... وفي الثانية،
كنتَ بعيداً عنّي لكنني كنت أنا اتأرجح في بالك...
كهبة شذا لا تزال في خاطر الربيع.
ايها الربيع، إطلع.
تأخّرت...

* * *

أمسِ تابعتَ مِن بعيد لَعِبَك بقلبي.

وحتَ تنشدها شِعرَكَ، تلك الغريبة.
شعرُك الذي انا وردُه وشذاه.
تمتحن غيرتي ؟
بلى أنا أغار.
من الليل الذي يلفك أغار، ومن ذراعَيَّ اللتين تطوقانك.
انت، شقائي بكَ وهنائي،
أنت كُرهي لك وحُبّي.

* * *

حقاً جرحتُك، يا حبيبي، بأن أمتنعتُ عن لقائك ؟...
واقترفتُها مثنى وثلاث ؟
شوك الوردة غالباً ما يجرح كبرياء عابد الوردة.
لكنه هو يغفر...
ويستمر يناديها: « يا معبودتي »...
وتشفى من سقام...
تعال واشفِني، يا حبيبي.

* * *

والتقينا، يا حبيبي، على بُعد...
وتشابكت أصواتنا كأنها الأيدي...

ضُمَّني، ولو عن بعد...
ضم باقة الورد،
ايها الذي يستمر شوكاً بشوك.

* * *

أمسِ كنتُ كمن لم ترَ وجهك منذ كرات السنين...
منذ وُلدت الشمس وتَقَمَّر القمر...

* * *

لماذا بُعْدُك، يا حبيبي ؟
العمر يطير.
اسرق منه الجناحين وتعالَ إليّ ضمّني...

* * *

كُنتَ، أمسِ، في رحلة مع أهداب عينيَّ الذهبيتين ؟
لا، لا اصدّق.
هذي انا ما ازال أطير بك...
والشمس والقمر وسائر الشموع التي تسمى النجوم تواكبنا...
وتغار...

قبلاتك أمسِ ؟...
انزع عني كل اللؤلؤ، كل الماسات الجميلة...
فانا لن أطوّق عُنُقي بعد اليوم الا بقبلاتك...

* * *

قلْتَ لي وقد مَرَرت بحديقتنا:
مِن قلة الماء صار الورد لا يُفتّح، والبنفسج نفسه يكاد يخبو شذاه.
لا تأبه، يا حبيبي.
تمرُّ انت ببالي، فاذا خواطري حديقةٌ بزهرٍ مُشتعل.

* * *

هذا الصباح، سمعت صوتك، يا حبيبي.
لم يَنقلْه اليّ عصفور ولا حَمَلَه شذا بنفسج...
كل ما هنالك ان قلبي كان قد ضُرب بعنفوان، لقراءتي قصيدةً على السيف، وقلت: في مكان ما، حبيبي يتكلم الآن.

* * *

أمسِ، يا حبيبي، رحتُ اتململ تململ الربيع على أرجاء الأرض...

عشتُ هنيهاتٍ على زندك المنطوي على خصري...
هذا الصباح أجدُني افرك عيني غير مصدِّقةٍ حلمي.

* * *

تعال، يا حبيبي، تعال الى ضَمَّتي...
ضمتي نفسها تشتاقك...
وصدري ينتظر رأسك يقع عليه وقوع القمر في حرج الليل.

* * *

أنْ احبك، يا حبيبي ؟...
هو أن يصيرَ للأرض ربيعان، ولقلبي قلب آخر ينبض مع اهتزاز الوجود.
دعْك تحبني، يا حبيبي، او تغدوَ الكُتُب بدون شِعر.

* * *

عَهدُ الوردَةِ مُلتَفَّةً على النَّاي

ـــ لا تنتظرني هذا المساء، يا حبيبي...

اختي الكبيرة مُتعبة، وسأتولى وحدي سقاية سياج الورد.

ـــ دعي سياج الورد يذبل، يا حبيبتي... انه هو الذي يمنعني من القفز الى حديقتكم في ليلة حرٍ، وقد غاب القمر.

* * *

ـــ أَقفِلْ شبّاكَكَ، يا حبيبي. الكناريّ الذي كنت أعلق قفصه قبالتك، ليسمعك صوته، أصبح فجأة أخرس...

ــ لا، يا حبيبتي. رآني هجرتك اياما فظنني رحلت... غدا، عندما تطعمينه بيدك... ويشم عليها رائحة قبلاتي... يعود الى الغناء... ويغدو الصبح، كصدرك، صبحين...

* * *

ــ ليلة أمس، مررتُ من أمام حديقتك، يا حبيبي. عنَّ على بالي أن أدفع البوابة وأدخل. لكنني كنت أعرف أنها محكمة الاقفال، وأن مزلاجها قويّ... فلم أحاول...

ــ أخطأت، يا حبيبتي. ليلة أمس فقط، نسيتُ باب حديقتي نصف مفتوح...

ــ ولكن إعلم بها ولا تعمل. أخاف مِنّي عليّ...

* * *

ــ أسألك، يا حبيبي، انت الذي تعرف كل شيء: هل الورود تُحِب ؟

ــ عن الورود، يا حبيبتي، بت اعرف شيئاً: أن أغار منها. ها هي قد مرَّت ببالك... ومتُّ أنا...

* * *

ــ انتقيتَني فقيرة، يا حبيبي، لماذا ؟

ـ لأنني لم أجد علاء جبين الا عند الفقيرات...

ـ كلمتُك، يا حبيبي، تكفي... كتاجٍ هي لي وصولجان.

* * *

ـ امس، العصفور الذي على شباكي قلَّ غناؤه، يا حبيبي. تراه شعر بأنني كنت أتوجع من فرقة ؟

ـ هأنذا عدتُ، يا حبيبتي، وحَوْلَ عنقك وضعت عقد القبل. قولي للعصفور أن يعوّض، ولورود الدنيا أن تَشتعل في حديقة بيتكم.

* * *

ـ بعد غيبة أيام، خلتُها بعمر الدهر، ها أنا أعود اليك، يا حبيبتي، وفي يديّ احلامي... وحبٌ... وورد كثير.

ـ لا تتكلم هكذا، يا حبيبي. أنت ما غبت ولا هنيهة. سوى أنني اليوم سأكوّم نفسي باقة زنبق وارتمي على صدرك... ومن جديد، على تنهداتنا، يروحُ يدور الفلك.

* * *

ـ صوتي بُحَّ، يا حبيبي... رُدَّ عليَّ... أو احسَب العصافير كلها سكتت !

ـــ سأبقى صامتا، يا حبيبتي... إذ تنهداتك هي ما أُريد سماعه... لتمُت كل العصافير ويبقى صدرك يهبط ويعلو، حاملا الي الأغنية... والهناء... وفجرَ الله...

* * *

ـــ كأنَّكَ فراشة، يا حبيبتي. ونقلتُك تنعش الزهرات. الا ليتني إحداها.

ـــ انت؟ كُن، بالأحرى، الاصابع التي تلتقط الفراشة... وشدّ عليها، شدّ... ولتمت الوانها في عينيك موتي أنا كل صباح على صدرِك العامر القويّ.

* * *

ـــ سألوذ برسائلك القديمة، يا حبيبي. إذ التي بعثت بها الي أمس لم اجرؤ على فتحها... أتوقعها تنطوي على عتاب وحزن. وتجرحني.

ـــ أدعوكِ إلى قراءتها، يا حبيبتي. تحفزك على ذرف الدموع غزيرة. وعلى الأثر تركضين اليَّ.. وتُغرقين وجهك في صدري... وأحملُك أنا الى فراش الزهر عندنا في الحديقة...

ـــ لم يبق لي من دواء يا حبيبي... ابعث اليَّ بالنِسيان...

ـــ سأبعث اليك بي أنا، يا حبيبتي. وفي كل الحدائق فلتذبل شجرة النسيان.

* * *

ـــ على شَفتي انتَ، يا حبيبي، على شفتي كأغنية عمر !...

ـــ أما أنتِ فلا. إذ أنني لم أخلقُ بعد لُغةً، الكلام. هل تُحبَس الصاعقة والربيع ؟ هل يحبس جنوني في قمقم ؟

* * *

ـــ حقاً سترجع اليّ، يا حبيبي ؟... اصدُقني القول لأرجع أنا معك... إذ في غيبتك أكون غائبةً عن الوجود.

ـــ أرجع أنا اليك ؟ لا. وانما أجعل الوجود بساط ريح من ورد. ويقوم هو اليك. وأكون أنا مصوغاً خاتماً لخنصرك...

ـــ اخبرتني وردةٌ، يا حبيبي، انك شممتها... حقا اقترفتَ هذا ؟

ـــ نعم فعلت. لكن لأهمس في اذنها أن عطر حبيبتي وحده يُغَنّي...

* * *

ـــ من بعيد رأيتُكِ هذا الصباح تقطفين وردة. غرت. متى بدلاً منها تقطفين قلبي ؟

ـــ أنت ؟! من يَقطف النجم المتشامخ على الوجود ؟ قل لي « أحبك » لا غير. ويتكلل جبيني بنفسج... وحولي تدور الاصابيح كأنهن صبايا... وأرقص حتى أموت متمتمةً باسمك...

* * *

ـــ احيانا تفاجئُني بكلمة « لا ». ما هَمَّ. « اللا » في فمك كأنها أغنية.

ـــ حقا أقول « لا » ؟ أكون أتمرّس بلفظها بغية أن لا يُطِلّ سواها يوم تسألينني: « هل في الجمال جمالٌ سواي ؟ ».

* * *

ــ امس، وأنتِ على زندي، بكيتُ من فرح... عيناي اليوم تشتاقان الدمع... ارجعي...

ــ دعني، يا حبيبي، دعني بعيدة عنك... سعادتي أريدها مجرحة... لأصَدِّق أنها سعادة...

* * *

غمامةٌ أنت، يا حبيبي. وتذهب الغمامة بعيداً... وكلما بعدت تكبر... إرجَعْ غمامة صغيرة، يا حبيبي، وغلَّ في صدري كذخيرة...

ــ صدركِ، تقولين؟ أهيبي بالحقين اللذين يشمخان فوقه أن يغنيا... فتسمع الغمامة... وترجع... وتروح تصغر كعصفورة... وبينهما تنام...

* * *

ــ أحسستُ، وأنا بين ذراعيك، بأنني غصن ورد. إقطِف اقطف، يا حبيبي، ولا تأبه لشوك يُدمي الأصابع.

ــ انا آبه للصعاب؟ متى كان ايكار يجهل أن بلوغه الشمس سيعرِّضه للسقوط محطَّما؟ مع السعادة بك، يا حبيبتي، طابت نكهة الموت!...

* * *

ـــ لم تعرِّجي على حديقتنا امس... خيل الي أن الدنيا خلت من زهر.

ـــ فعلتُ قصدا. قلت: حبيبي سيُنقِّل عينيه طويلا تحت قناطر الياسمين... طويلا سيفتش عني... وهكذا، تبقى هناك، ليوم مقدمي، بضعةٌ من زرقة عينين أجمل من البحار والسفَر والأغاني...

* * *

ـــ منذ زمن بعيد نبت لك ذراعان، يا حبيبي... تَظنُّهما كانتا لغير تطويقي ؟...

ـــ ايتها الوافدة من آخر الأرض، ايتها الراكضة إليّ من ربيع عينيها... إنَّ الحلم تأنٍ... تعالي نعش في ظل أهدابك دهور هنيهة، قبل أن نُجَنّ... ونَقطِفَ الوجود.

* * *

ـــ أهملتَني، يا حبيبي. شَعري الطويلُ الهادئ قال لي ان شقرته ذبلت بعد أن هَجَرتها أصابعك الهِيف.

ـــ لا تصدقيه، يا حبيبتي، هذا الشعر الكثير التطلب... وغدا متى عدتُ سيهمس في اذنيك انه عاد يغّني... مشاكسا الشمس والريح وأريج الاكاسيا.

ـــ بقلم رصاصي واجف خططتُ لك كلمة « لا »، يا حبيبي. كنت أعرف أن رسالتي ستقع في يد أمّي...

ـــ فهمتُ، يا حبيبتي، فهمت. ولهذا أتيت أقطف عن فمك بالذات تلك « النَعَم » التي لم تجرئي على كتابتها.

* * *

ـــ صوتُك نفسُه، يا حبيبتي، كان يجس نبضي وأنا مريض... اليوم، وقد غنت العصافير على شباكي، سأغمزها ان ما هي التي شَفتني.

ـــ الليلة، سأعَرج على منامك، يا حبيبي. وعلى فمك سأطبع خدا تلو خد.

* * *

ـــ عندما أكون في خيمة الورد، عندك، أشعر بأنني أحبك أكثر مما تحبني، ايها المعبود الطائش.

ـــ أنا لا أعود أعرف أأحبك أم أكره... أنا أضيع...

* * *

ـــ اياماً بطولها نسيتَني... خيل الي انني اعيش أوراق الخريف.

ــ ولأوراق الخريف كذلك الحق بأن تستمتع بحسنك، يا حبيبتي... وغدا، متى اشتعل اللوز بالابيض، تقرأين ابتسامتك على الزهر.

* * *

ــ انَبتني أمّي في حبك. قالت انها ستموت ان أنا بقيت موضوع قصائدك التي تحولني كل مساء الى دموع...

ــ قصائدي أقرئيها أمك نفسها، يا حبيبتي. فإمّا أن ترقّ لك، وإما أن تلتهيَ عنك بمسح دموعها.

* * *

ــ لا، لن احبكَ بعد اليوم. بعد اليوم سأعيش على ذكرياتي. انها أجمل منك، ايها الناكث الغادر.

ــ أنا سأفعل النقيض، يا حبيبتي. الأمس سأجعله باهتا، عند اليوم، واليوم ممحواً عند الغد. وتحبينني انت ام لا ؟... ما همَّ... أنا سأحمل كل يوم أرابيع الدنيا، وبأزهارها الحمر والصفر والبيض أُلِفّ زوج الحمام الذي هو قدماك.

* * *

ــ لم أُحبّكِ بعد، يا معبودتي... لو انني فعلتُ لكان الوجود تحوّل إلى أغنية... ولكان وُلد ورد جديد...

ــ أنا كنت أبسَط، يا معبودي، لم أنتظر أن أجترح الأعاجيب، جعلتُ قلبي أُطيب... وصدري أغوى لرأسك...

* * *

ــ أمس لم أُعطَ أن أراكِ، يا حبيبتي... شعرتُ بأن النجوم قلّت في الصفحة التي كتبها الله.

ــ أنا قرأتُك، يا حبيبي. فكأنني استمتعتُ فوجعتْ عيناي لطلعة رجولية، طلعتك التي هي أجمل ما كتب الله.

* * *

ــ شَعركِ الأشقر الطويل أوجعتني رؤيتُه... كيف لو تدفق حريُره على اصابعي ؟...

ــ لا لن يفعل... لكنه، في ليلة ما، سيكون وسادة لخدك... وأموت أنا لجمال جمال حلمك.

* * *

ــ بعثتَ الي بوردة فرحة، بعثت اليكَ بكتاب حزين.

الوردة ستذبل كحبك، الكتاب ستقرأ فيه دموعي.

ــ وردتي ولو ذبلت لن تنسى يومها: ستظل تقول انني أحببتكِ. أما كتابك الذي انتقيته باكيا فسوف يعلمني كيف اكفكف دموعه... بانتظار أن أكفكف دموعَ التي أعبد...

* * *

ــ أمس لم أسمع صوتك، يا حبيبتي... خيِّل الي ان الوجود صار بلا عصافير!

ــ اليوم كذلك لن تسمع صوتي، يا حبيبي... لكنني سأعوض بأن أضمك بذراعيّ... اللتين تسميهما عقود الزهر... وفي ذلك الصمت، الذي لا يقطعه سوى قبلاتي، ستسمع أجراس الياسمين...

* * *

ــ امس قرأتكَ، يا حبيبي... فتساءلت ايهما أحب اليّ: بيتُ شعر منك أم حياتي؟

ــ وأنا قرأتكِ، يا معبودتي، في كتاب الطبيعة: في بياض الزنبق، في سلطنة الورد، وفي شذا البنفسج. لكنني اطبقت الكتاب مختتما: انتِ أجمل...

* * *

ـ سأمزق كلّ رسائِلك، يا حبيبي... وسأقفل شباكي في وجه الياسمينة فلا تعود تهمس في اذني اسماً سأنساه.
ـ أنا، لا. ورسائلك سأقرأها وأحبها عني وعنك. أما ياسمينة بيتكم فسوف استنطقها كل الاسماء التي كنت أسمّيك بها، آونة كانت دموعي تغسل محياك الوضيء.

* * *

ـ لا تمري على غرفتي هذا المساء... غرفتي ستسكنها الريح بعد أن تناسيتها امس ولم تفي بالوعد.
ـ لا، يا حبيبي، وسأحج اليها. وان لم أجدك فسوف أبقي فيها من شهقاتي ودموعي ما يدفئك عندما سترجع وتسند رأسك بما أكون تركتُ من وجع قلبي...

* * *

ـ لا تقرأني بعد اليوم، يا حبيبي. رسائلي وقصائدي فيك مزّقها... الحب الذي تنطوي عليه جرأحته اناملك فتحول الى دموع تملأ عينيّ!
ـ رسائلك وقصائدك، يا معبودتي، مزقتُها منذ زمن بعيد. نثرت أحرُفَها ندى على قلبي... وغداً متى عدتُ اليك، ووضعتِ رأسك المتعب على صدري، فقد تسمعين

النبضات والاشعار تهدهدك... وتنامين على أغنية تقول لَكِ حباً لا يموت.

* * *

ــ هذا الصباح عقدتُ صداقة مع الريح. كانت آتية من صوب بيتكم، يا حبيبي، وعدتُها بأن أقطِف لها كل يوم طبَق ورد وأرشقها به.

ــ أنا، لا. اكتفيت، يا حبيبتي، بأن ملأتُ عيني من شعاع الشمس الذي عرّج على شبّاكك... كان بضا... تراه عرَّج ايضا على ما وراء بعض الغِلالات ؟...

* * *

ــ فسطاني الاصفر لن يَمُرّ ببالك بعد اليوم... خلعتُه على خادمتي... خُيِّل الي انك كنت تداعبه أكثر مما تداعب قوامي الذي يُعطي الاصفر دلالا...

ــ على هذا، سأحب يدك التي خَلَعتْه على الخادمة... وان أنا اشتقت الى اللهو بلونه جمعت باقة ورد اصفر ورشقتُ بها قوامك... بلى، ويرجع إليَّ الورد لِيشهد بأنَّ قوامك هو الذي يُعبَد.

* * *

ــ غنيت لكَ أمس، يا حبيبي. لكنك لم تعرف. كنتَ قد قَسوت.

ــ لا تصدقيني، يا حبيبتي. أنا تظاهرت بها ليستمرّ صوتك سريرا لي، واجنحة، وحلما بأنني أنا هنيهاتُ السعادة واللهوِ بقطف النجوم.

* * *

ــ غضبتِ، يا حبيبتي ؟... ومن قال ان غضبك لا أحبه ؟ بداية دمعة على جفنك بزوغُ شمس... واشربها فأذوق الخمر...

ــ تعال، اذن، يا حبيبي... والا غارت عيناي في تكاثر الشموس... وتدحرجت السكرات على خدي ولا مَن يسكر...

* * *

ــ أحببتُكِ كأننا أنتِ السماء وأنا نَسْر. تُرى سيظفر بها النسر ؟... كل ما يعرف هو أن يضرب بجناحيه ويعلو يأبى أن يُحطّ.

ــ وأنا أحببتك، يا معبودي، لأنّ جناحيكَ أكبر من السماء.

ـــ كان المطر ينقر على شُبّاكي والشمس طالعة. خُيِّل اليّ أن عينيك تُسدِّدان الى قلبي جمالاً... صرخت: « تعالَي ». وهذي انت بذراعيك تطوقان عنقي.
ـــ لا، وأنا لم آتِ بعد. وعيناي ما تزالان، هناك، تنظران الى جبينك العالي وتتعبدان لألَه...

* * *

ـــ رقاع الثلج، يا حبيبتي، حَلّت أمس محل زهر اللوز الذي يغني عينيك. حَسدتُ رقاع الثلج.
ـــ أنا حسدت ما هو أقرب الى أناملك: القلم والورق. لا تكتب لي كلمات من ورد. بذراعَيك طوقني: إنهما أجمل الأكاليل.

* * *

ـــ انتَ، يا حبيبي، لا تعرف أن صوتي جميل. لهذا غنيّتُ لي أنا... ولم ترقص أنت...
ـــ حقاً فعلتِ، يا حبيبتي ؟... لكنني أعرف انك، بقوامك ورأسك الجميل، أُغنية. وهذا ما أسمع. ويخترق لا اذني بل نبضاتِ قلبي. وأرقص ويرقص معي الليل والقمر... وبلبل يوقظ الفجر...

* * *

ـ امس، سمعتُ اسمَكِ، يا حبيبتي، بكوكب أغنية نظمتُها لك وانتِ بعدُ صغيرة... لم أكن ضممتك... الأغنية شوق وشوك...

ـ كبُرتُ الآن، يا حبيبي، وجمالي كبر. انظِم فيَّ ما هو أجمل. شرط أن تُبقيَ على الشوق والشوك... والا كانت لك الاغنيتان، ايها الطائر، كغصنين... عليهما تتنقَّل...

* * *

ـ عندما أُعدُّ النجوم بحضورِكِ، يا حبيبتي، أجدها زائدة واحدة...

ـ لا تصدّق... هي اصبعك التي تعرف أن « تطرطش » السماء بالجمال... فتكثّر النجوم...

* * *

ـ هذا المساء كنتُ سأغفو على دموعي. تلك التي تُجرِّح وسادتي كلما غبتَ انت وأطلتَ الغيبة.

ـ ولكنني جئت، يا حبيبتي، وستغفين على دموعي أنا. تلك التي سأشعِلُ بها يديك لأعود، متى تطلّعتُ الى وجهك، أشربها نارا وجمالا...

ـــ كناريُّنا غِنَّى اليوم. ولكن حزيناً. خُيِّل اليَّ انه هو قلبي بعد أن أطلت انت الغيبة.

ـــ لماذا الى الكناري ؟ اصغي، بالأحرى، إلى الوجود. انه قلبي الذي يحويك ويطير بك الى حيث تسكن قامةٌ لك أوجَعُ من الدمع.

*

ـــ حِرتُ هذا الصباح: من أي الزهر انتقي لكِ باقتي ؟ من الورد ؟ من الفل ؟ من البنفسج ؟ أخيراً جئتُكِ بفيروزةٍ، قال الجوهري أنْ لا أجمل منها في مخازن المدينة.

ـــ سأزيِّن بها إصبعي، لا فقط لجمالها، بل لأنها ستقول لمن يراني انني اتختم بلون عيني حبيبي...

*

ـــ دعي لي يديكِ، يا حبيبتي... انهما أغنيّة اصابعي...

ـــ شرط أن تدع لي جبهَتك، يا حبيبي... انها السماء التي فيها أسبح كعصفورة...

*

ـ لماذا تمُرُّ الغمامة البيضاء، يا حبيبي، ولا تكون لنا بساطَ ريح ؟... أما نحن كلمتان في حكاية ؟

ـ تفعل لكي تترك لقلبي الحسرة. والحسرة تزيدني تلهُّفاً الى يومَ يشتَدّ ساعدي فأشتالك وأطير. الغمام يصبح واقعي الذي أدوس. وعلى قبلة أَقطِفُها من فمكِ تولد الحكايات...

*

ـ أحببتكَ كما تحب الوردةُ لونها. وانت ؟

ـ انا ضللتُكِ: كنت الشذا لتلك الوردة... وهكذا بقيتُ مخبوءا في قلبك... احبُّكِ ولا تعرفين...

*

ـ « النعم »، تريدني أن أقولها بغضب ؟

ـ لا، يا حبيبتي، وأفضل منها ألفُ « لا » تقولينها وفمك، ذاك الشطر من فجر، أجملُ فمٍ في الدنيا...

*

ـ هذا الصباح نَسمتْ على وجهي هَبّة ورد... لكنها لم تكن آتية من صوب بيتكم، يا حبيبي. خَنِقْتُ على الورد.

ـــ ها انذا أُكفِرّ عنها، يا حبيبتي. عوضاً عن الشذاء،هاكِ قُبلاتي تَنسَلِك حول جيدك عقداً من لؤلؤ.

* * *

ـــ أمس، أوجعتَني، يا حبيبي... اسمَعتَني أغنية فَرِحة وكنتُ أريدني إلى بكاء...

ـــ كنتُ بعيداً عنكِ، يا حبيبتي. الآن، وصدري الى جنبك، وبوسعك أن تلقيَ برأسك عليه تبكين، اشربي الأغنية الحزينة.

* * *

ـــ الكتاب الذي بعثتُ به اليكَ امس اطبقتُ فصلا منه على وردة صغيرة... دموع البطلة في ذلك الفصل شبيهة بدموعي. فكيف لم يصل اليك بعد ؟

ـــ لربما تأخّر قصدا... تعالَي اشربْ دموعك من خديك، لا من الورق...

* * *

ـــ هذه الرِسالة التي بعثتِ بها اليّ لا تُقرأ. هل تفكّينها لي ؟

ــ ماذا ! تريدُني أن أضيف الى عصبية الخَطّ دموعا تمحوها بالمرَّة. مزّق الرسالة الآن، وخُذ خذ معانيَها من شفتَيّ.

* * *

ــ شمسُ كانون لفحتني امس. مَرِضت. هذي انتِ تعودينني. احجبي وجهك لأن الجمال أيضاً يَلفح...

ــ لكنني لم أجلب لك، يا حبيبي، سوى قبلاتي المهدِّئة... حُسني تركتُه في البيت، في بعض دِواوينك...

* * *

ــ انها يدي هذه المرة التي تَمُرُّ على جبهتك، يا حبيبي... قل لي انك تتحسسها فيصبحَ قلبي قلبين أحدهما أنت.

ــ أنا مريض، يا حبيبتي، كل ما أعرف انكِ في الوجود ومن أجل هذا سأُشفَى.

* * *

ــ أخافُكَ تنساني...

ــ انا، يا حبيبتي، اخترع، كل يوم، حُبّاً جديداً. وهو

سِرُّ شبابي. لكنني لن أقدر على ذلك الا تَحْتَ زخٍّ من قبلاتك.

* * *

ـــ اشتقتُ اليك، يا حبيبي، ولا اشتياقَ الغِمد الى السيف.

ـــ بعد الآن لا يوجِعْكِ غيابي، يا حبيبتي، والغمد لا يعتز بالسيف الا وهو بعيد عنه. الحياة قُبلة، لكنها قبلة صعبة كالحياة.

* * *

ـــ انعصر قلبي امس لتلفظكِ بكلمتين: « فراق » و « انتهاء ». اسمعي يا حبيبتي: اغنية واحدة سأغنّيها: إنكِ لي، لي الى الأبد.

ـــ أعِدْه على مسمعي مطلع هذه الأغنيّة. انه الندى وأنا الزهرة.

* * *

ـــ امس، سألت عنكِ هذه الوردة المكوكبة في الاناء على شباكي. هي تعرف انك هجرتِ مخدعي لأسابيع.

راحت تعزيني. لكن بأن تشاركني ذرفَ الدموع.

ــ ها أنا قد عدتُ، يا حبيبي. ووجود هذه الوردة تحت سقف مخدعك لا يعجبني... سَرِّحْها هي واكتَفِ بدموعي أنا...

° ° °

ــ لم انسَكِ امس، يا حبيبتي. هل تنسى الوردة عبيرها ؟ انت اغنية عمري، حبي، ولذَّةُ العيش. لكني كنت بعيداً عن ان اطولك. وما انتِ التي وجِعت وانما انا.

ــ الامس ؟ انسه، يا حبيبي. وهذي قبلاتي تمحو أوجاعه عن جبهتك العاليةِ كالزمان.

° ° °

ــ أمس، التقت يدي جبهتَك، يا حبيبي. كل ما بي حسدها. هذا صَدْري يعلو ويهبط من تَوق...

ــ قولي له، متى ارتمى على صدري، ان لا يعود يقول انه كان يعرف السُكْر... واذكري، يا حبيبتي، انكِ انت الكأس والخمر والموت الذي بينهما...

° ° °

ـــ ستنساني، يا معبودي، ستكفّ عن حُبّ.

ـــ لماذا تريدينني افعل ؟... قولي، بالاحرى، لهذا الليل ان تكف ذراعاه عن لف الوجود. تكونان ما خُلقتا منذ خُلقتا عملاقتين... حياتي هي سكري بك، يا حبيبتي، ومن بَعدِكِ فلتتفتّتِ الشمس.

* * *

ـــ أُمسِكُ بيدكَ، يا حبيبي، فاحسها هاربة مني... حنانَك قل، قل لي لماذا ؟

ـــ لأنني أحِبُّكِ اكثر منها. وغداً عندما تعرفين كم انا موجَعٌ بجمالك تقولينني صرتُ كُلّي يداً... واطوّقك بي لكي اعود لا افلتك على العمر...

* * *

ـــ قيل لي، يا حبيبتي، ان لا اجمل من صوتك الا تدحرج عُرْبِكِ على أفق عيني الزرقاوين. غَنّي، غني لي بالاثنين معاً.

ـــ أفعلُ انا ؟ بالأحرى، أنشِدْني انت الشعر، رفيعاً كجبهتك التي من بعضها العنفوان.

* * *

ـــ أمِرّي يدك على جبهتي، يا حبيبتي. ان وجودي لَيُصبح آخر... والدنيا تغدو لي اغنية.

ـــ وأنت أمِرَّ يدَكَ على صدري تلامس قلباً كان قد تهدّم من حب، لولا خوفُه عليك انت المُسَلطن فيهِ وحدَك...

* * *

ـــ امس تحطمتِ الدقائق، يا حبيبتي: لم نلتق.

ـــ كنت اعرف ان الزمان سيهرب من بين اصابعكَ. لكنني توقعتُكَ تأمر زمانا آخر بان يكون... وتحمله الي باقةَ ورد...

* * *

ـــ صوتي الجميل ؟ انه هكذا لأنك انت الأغنية.

ـــ لا، يا حبيبتي، لستِ صوتاً جميلاً. انت حياتي تغني، وتشيلني إلى آخر الارض، وعلى نقرة غيتار لك أموت وأحيا...

* * *

ـــ رأيتُكَ تسرِّحَ عينيكَ على ضفيرتي المذللة الطويلة. غِرتُ منها. وددتُني أجزُّها وأرمي.

ـــ عندئذ أعود إلى شَعرك الذي تزلزلني عافيته. واداعبه مُغرزاً فيه اصابعي. واقول له: متى، يا حلو، متى تُنبت ضفيرةً اجمل ؟ وأغنيَ أنا وأجَنّ ؟...

* * *

ـــ مرّي ببالي أيتها الحاضرةُ الغائبة. أو يذبلَ كلُّ الزهر الذي جمعْته لي أناملك.

ـــ أنا ؟ لا تصدق انني غائبة. سأعودُ يوماً اليك، بحسني، بشوقي وبقلبي، ذاك الذي لا يَسكنه سواك.

* * *

ـــ أخيراً، يدُكِ على صدري ؟ إنها ان اعيشَ وأسعدَ ويغنّي لي القمر...

ـــ أما أنا فقد عشتُ دهراً أنتظر أن تكوني وُجدت، لأغرقَ في زرقة عينيك التي لا بحر أجمل منها...

* * *

ـــ أمسِ، أوجعتِني، يا حبيبتي. تغيبُ الدنيا ولا عيناك اللوزيتان. انتِ مني أمي وطِفلتي وأُغنيتي وسَلُّ الحُسام.

ـ لم أكنْ جادةً، يا حبيبي. كلُّ ما كان أنني وجِعتُ لأنك لم تتوجّعْ بحسني كفاية.

* * *

ـ لا تقولي لي انكِ تغنين باسمي في سويعات الهجران. وجهك البعيد صار أُغنيتي الوافدةَ من قلبي.
ـ ضَع، بالاحرى، خدَّكَ على هبة نسيم، وابعث بها إليّ. احيَ وترتعش في نفسي البطولة.

* * *

ـ تعالَي... بعد غيبتكِ، مَمرُّ الياسمين لم يبقَ جميلاً.
ـ لماذا لا تجيء أنتَ إلى عندنا ؟ اقوالك اعجبَت امي. ومنها أن كلمة « احبكِ » لا تُحَب، وانما وحدها كلمة « يا عروستي » صداها يرنُّ في أقاصي القلب .

* * *

ـ لماذا لا تتركني، يا حبيبي، ولم أبقَ الفتاةَ الصغيرة، التي كنتَ تدعوها دُمية ؟
ـ لأن السمع، يا حبيبتي، لا يترك الأُغنية... ودمية

الأمس اصبحت القَوَامَ الفارغ الذي متى لفَّه زنـدي ارتعشت السكينة وطار الليل...

* * *

ــ تعالَي الى قلبي... وأُقفلَه عليكِ... وتعودِي لا تهربين...

ــ من قال انك تملكه، هذا القلب ؟... منذُ صبيحةِ امس دعوتُ نفسي اليه... وسكنتُه وحدي سكَني زهرةَ البنفسج.

* * *

ــ هذه الليلة، حلمتُ، يا حبيبي، بأن دمعتين تحاورتا على أهدابي. واحدة تقول انها تعبدكَ، والأخرى انها تحتفظ بمواجد قلبها الى يوم تكِفُّ انت. عندئذ تحاول اغراءك من جديد. أُشفِق يا حبيبي، على الدمعتين، ودُقَّ على باب قلبي...

ــ قولي لهما، يا حبيبتي، أن تتلألأا على أُهدابك في اليَقظة كما في الحلم. تصورتهما لهما بعضُ جمالك، وتصورتُني أشربُهما وأعيش.

* * *

ـ سأتركك، يا حبيبي، مستبقيةً منكَ دموعاً وخدَّين مخمَّشين.

ـ ستستمرين إلهتي، يا حبيبتي، ولو وسط الآهاتِ التي لا تُعَدّ.

* * *

ـ لن أزورَكَ أنا، يا حبيبي. قلبي سيزورك.

ـ هو ؟... إنه عندي منذ سنين. تعالَي انتِ، تعالَي وليتكسَّرِ الليل على النهار، ويعودَ الجمال دميةً بين يَديّ.

* * *

ـ أمس، وأنا مفلِتَةٌ من بين ذراعيكَ، يا حبيبي، خُيِّل إليّ انني نجمةٌ وانطفأت.

ـ عُودي، يا حبيبتي، وتعودَ يداي تبعثرانِكِ على قبة الفلك.

* * *

ـ استيقظتُ فوجدتُكِ على زندي، يا حبيبتي. ماذا ! قلت، هل صار للوجود صَباحان ؟

ـ انا، يا حبيبي، استيقظت فوجدتُنا أُغنية. اجعلها تَبقى

هكذا. وتأخذَ منها العصافيرُ والاجراس المعلّقةُ على قوسِ الغمام...

* * *

ــ بَعثتِ إليَّ، يا حبيبتي، برسم يجمعنا معاً. ماذا ! حقاً ظننتِنا كنا منفردين ؟ الضِحكةُ التي تملأُ وجودَنا كانت ثالثتنا... انها مِن حُبّكِ لي، هذا الذي لا ابيعه بعرش مَملكة.

ــ أُسكُت اذن، يا حبيبي، وَدَعْه حبي يُغنّي كبلبل، فلا يبقى غصنٌ الا ويَقلق.

* * *

ــ انتَ لا تحبُّني، يا حبيبي.

ــ حقاً ! ومن الذي قال: « عيناكِ الذهَبيّتان هما اغنيتي. سألتهما، يا حبيبتي، متى ترجعاني الى بيتنا والى عَينَيْ امي ؟ ».

* * *

ــ تريد ان تعرف سرَّ حبي لك، يا معبودي ؟ سِرُّ حبّي أنك في الوجود...

ـ اما انا فلم أُصَدِّق بعدُ ... حسنُك هذا ليس كذبة؟...

* * *

ـ وانا على زندك أجد الدنيا أجملَ، يا حبيبي...
ـ أنا أعود لا أراها... بالأحرى، أجِنُّني أحمِلُها وأسافرُ في عينيك اللتين خَلقَتا البَحر.

* * *

ـ فرطتُ وردةً، يا حبيبي، لأتصوَّركَ تلعب بقلبي... فقالت وهي تَمّحي: «ومع هذا أحِبُّكِ، ايتها الأصابع».
ـ أنا، يا حبيبتي، سأستمر أفرط الورد، لأموت من سَماع ما يقول.

* * *

ـ أمس صفَّفْتُ شعري، يا حبيبي، وفق ما تُحِب: غديرتان اثنتان... كما وانا طفلة... لكنك لم تزرنا لأسمح لك بأن تُمِرَّ عليهما الأصابع. اليوم غديرتاي انفرطتا...
ـ مَن قال ؟... لأنتِ، كيفما كنتِ، تنشكِّين غصن ورد في الريح.

ـ دعني مِن حبك، يا حبيبي. انه لَيَضرِبُني ضرباً.

ـ تَقولين... ولولا اليدُ التي تضرب أوتارَ القيثار لما سَكِرَتِ الأُذن وجُنَّتِ الهنيهة.

* * *

ـ سأبقى لكَ، يا حبيبي، ولو أنت هَجَرْت.

ـ انا لا يَمُرُّ ببالي ولا حتى هذه. وسيظل العقد، الذي حول عنقك، من قبلاتي. قبلات لا تذبل ولو ذبل كلُّ الزهر ونَسيَ الناسُ اسمَ الربيع.

* * *

ـ قولي لي، يا حبيبتي، لماذا أسكر أنا عندما أسمع رنّة صوتكِ. هذا وانتِ تَتكتَّمين عليه ولا تُغَنِّين.

ـ لأن صوتي صدىً لنبضات قلبك، يا حبيبي، تلك التي عليها أغدو بلبلاً يقلق ويوجعُ الغصون.

* * *

ـ أحببتُكِ، يا معبودتي، كما أسمعُ الأُغنية... أنتِ كيف ؟

ـ انا لم استيقظ من أغنيتي بعد، فكيف أعرف كيف ؟...

. . .

ـ لو انني الله، يا حبيبتي، لكنت خلقتك وردةً حمراء، او غمامةً بيضاء... بالأولى أعيش الحياة معك عبيراً... وبالثانية أعيشها خيمةً طائرة تَحْمِلُني الى حيث لا معاد...
ـ دعك من كل هذا، يا حبيبي... فمي أطيبُ عطراً، وشالي لا يطير إلى أبعد مِنّي.

. . .

ـ دعْني أكِفّ عن حبك، يا معبودي الطائش، لأن حُبّك بات يوجع كاغنية فراق.
ـ انا، على العَكس أطربِ لها أغنيةَ الفراق، تَرُدُّ حبي سريع العطب، فأداريه كَقَلبِك الذي الهو به كما بالهناء وكأسِ السُكْر.

* * *

ـ كتبتُكَ، يا حبيبي، على وجهي. وغدوتُ اينما

أذهب يقرأ الناسُ فيه عينيكَ، وكَلمتَك التي من سَيف، ونُوراً بحَجم قلبي.

ــ أنا، لم أكتبْكِ، يا حبيبتي، ولا حتّى في قلبي. لِيظلَّ حُسنُكِ منقوشاً على الريح، فاتعبّد كما عابدُ الصَنَم أمام الصنم.

* * *

ــ امسِ مساءاً، سمعتُ طيراً يُغنّي. خُيّل اليّ، يا حبيبتي، انه حزينٌ كما انت في آخرِ لقاء.

ــ أنا، يا حبيبي، سمِعتُ طيراً صباحِيَّ الشجى. كان في صورة وَساميتك، وخَطٍّ عينيك في الشمس، وشلْحِك اياي على زند، تَخطفَني إلى آخرِ الزمان...

* * *

ــ اشتريتُ لكِ كتابَ حكايات، يا حبيبتي. تصفَّحتُ بعضَه فوجدتُه جميلاً جميلاً. لكنَّ حكايةً لا تزال تعوزه، هي التي تُكتب على عينيك...

ــ أروعُ منها، يا حبيبي، كُلُّ هذا الذي تقول.

* * *

ـــ هذا الصباح، قبل أن أولد من جديد في حبك، حَلمتُ أنني نسيتُك ولم تبق قسماتُ وجهك منحوتةً إلا في نداء. هل تفكُّ لي هذا الحلم؟

ـــ هذا يعني انني صرت، يا حبيبتي، قُبلةً طائرة... وأنتِ ستلتقطينها اليوم كما فراشةً بشبكة.

* * *

فهرست الكتاب

قصائد من دفترها

الطبعـة الأولى ١٩٧٢

الطبعـة الثانيـة ١٩٩١

مَن يشتريني بِقبَل؟

وأنا بعْدُ لَم أزلْ،
في العشْرِ، طفلةً شُعاعْ،

كنتُ أظنُّني أُباع
ويشترونني بقبل ...

ومرَّةً، في الحبَقه،
لَقِيَني ندى الربيعْ،

ناداهُمُ : « أنا أبيع
مَن يَشتري بزنبقه ؟ »

ومَرَّ ليلٌ ونهارْ
وأنا أُعطى ... وأُرَدْ ...

يَأنَس بي حيناً ولدْ ...
وحينةً ذاتُ سِوار...

اليوم، يا حُلْوُ، أتيتْ،
هَل تشتريني بِحصانْ

يَهْذُبُ في سَمع الزمان ؟
لا، يا حبيبي، لا اشتريت ...

دعني أرى ولا أرى
إلّا بعينَيْ مَن عَبدْ،

كنجمةٍ غرْسِ الجلد
عَلَتْ فلا حُلوَ افترى ...

لكنْ، ولونِ مقلتَيكْ،
جُثتُكَ أرمى فأُلَمْ

أو لا أُلمُ ... لا أُهَمَ ...
أرمى كوردةٍ اليك ! ...

شريطة شعر

شريطَةُ شَعْري جريخ،
وأُلبَس وجه الكآبة !

حَبيبي أُطالَ غِيابه،
وقلبيَ حَفنَةُ رِيح ...

فيا بلبلاً في الجُنينه،
حَبيبُكَ زُرْ بُلبلي،

تؤاسيه لا مِن علٍ
وعينُكَ تَغمِزُ عينه ...

وإمَّا تَمُرَّ بِزهرَهْ
لَوتْ عُنْقَها من شَجَنْ،

تَودَّدْ لها مُفتَتَنْ
وقُل : « راجِعٌ هو بُكْرَه ... »

حَبيبي تَفَجُّرُ مَطْلِعْ
قصيدٍ، وشَقُّ ابتسامَهْ !

تُرى في السماءِ غَمامه
تُبشِّرُني أن سيَرجِع ؟ ...

شريطةَ شَعْري الهَمَلْ،
كفاكِ غِوىً، دارَ مَن دارْ،

وعادَ ليطبَع مِن نار
عليكِ ... عَليَّ ... القُبَل ...

شُبّاكه

شُبّاكُه الذي انفتَحْ
تُحِبُّه اختي الصغيرةْ،

تَغمِزُني : « شُمّي عبيره
مَن قلبُه هنا انذبح ... »

يا ويحَها ! جَرى جرى
بَصَرُها خلفَ الستائرْ ...

والأَربَعُ الشُقْرِ الضَفائر
تُزعِجها فيما ترى ...

أشياؤه هَل رَقَّتِ
لها ؟ فراحت مِسطَره،

كِتابُ شِعر، مِجْمَره ...
تَهتِف : « ها أُختُ التي ... » ؟

حُلوةُ، يا أُختي الصغيره،
دَعيكِ من خَطّ البصرْ

هنا. هنا قَلبي انكسر،
ذاتَ ضحىً، ذات ظَهيره !.

لا، لم أَزُر مَن ٱلغزا
بعْدُ، ولكن ما أُشحُتْ

عن بعضِ آهٍ، وسَمحت
لِعينه أن تَغمِزا ...

مَحروسَة

في حَيثُما أسبَحْ،
وآسمُكَ في فمي،

غُربيَ يَحتمي
به، فلا أجنَح

ذاتَ ضحىً عَبَرْ
بي هائِجٌ من يَمّ،

هَمَّ ... وما أن هَمّْ
حتى رأى وفَر ...

ومرَّ مَن يسألْ :
ــ أين يَداي، أينْ

تُطوِّقان الزيْن
مِن شَعرِكِ المُهمل ؟

فقُلت إن يَشرَسْ
ذاكَ العمي العمي

باسمكَ في فمي
أُرشقهُ يَخرَس.

تغيبُ ... تَبقى معي ...
في البَحر، في الأنهار،

عُربي أَنا القهَّارْ
يَظَلُّ مِن شَعشعِ !

لماذا الجمال ؟

كِبَرُ عينيَ لِمَ ؟
ولِمَ الهُدْبُ فُصولْ ؟

فاتِني، هلْ لتقولْ
أنني بعضُ السَما ؟

لِمَ لي شَعْرٌ هَمَلْ ؟
شَفَةٌ مُقْتَضَبَه ؟

ألأعطاكَ هِبَهْ
مِثلما تُعطَى القُبَل ؟ ...

كَتبوني في الوَرَقْ
قالَ ... نَهداً مُشرئِبْ

حُبّني أو لا تُحِبّ،
أَجْمَلُ الوَجد حُرَق !

ليس لي أن لا أَمُرّ
بسوى حُبّي لكْ،

أبِقناءأنتَ الفَلك ...
وأنا طيراً يَكُرّ ...

أيها الساكنُ بي
غُصْنَ وردٍ، غُصْنَ آسْ،

حُلْمي لو أنا كاس
وأُغنيكَ : « اشربِ ! »

لِمَ يَمُرُّ لا يُسَلِّم ؟...

لِمَ يَمُرُّ لا يُسلِّمْ ؟
أُختي، اسألي زهرَةَ نارْ

هل حَطَّ عصفورٌ وطار ؟ ...
تَرْكي ولا عتابَ يُؤلِم !

أوّاه ! كم كان يُغيِّبْ،
في شَعَري الوجهَ الوَسيمْ !

يَجهش بالدمع العَميم،
يقول : « جُرحُ الحُبّ طيّب ».

اليومَ، لِمْ مرَّ وما
مَرَّ ؟ ... أحُسْني في ذبولْ ؟

وما أنا التي تقول :
« أموتُ لو ذقْتُ الفما » ؟ ...

يَعرِف، قُلتِ، يَعرِفُ ؟
وانا وحدي الناسيه ؟ ...

أختي، سأبقى الداليه
لِقاطِفٍ لا يَقطِفُ !...

بلى ! فمي، كعَهْدِ أمْسْ،
أجْمَلُ ما رَوى الرُواه ...

مِنْ شَفَةِ جَرحةِ آه،
وشفةِ قِطعةِ شمس ...

أسمع صوته من الجنينه...

أُسمَع صوتَه من الجُنينه،
وصوتُه الرجولَةُ الصُراخْ.

أذكُرُ، يومَ بِهواهُ باحَ،
يداً له تضُمُّ غَيْرَ هَيْنه.

أُختيَ، بنتُ الأربع السنينْ،
كانت تَرانا. سألت تَقْلَقْ

عَن الذي طَوّقني ... طَوّق ...
وأنا مثل غُصُنٍ، ألِين.

أُختي، مَتى كَبُرتِ وارتفَعْ
خصرُكِ واحلولى فَمٌ بريءْ،

إبقي، اهرُبي، من جُرأة الجَريءْ ...
انا ضَعُفت ... وهُو ما ارتدع ... !

اليومَ،ها جُنينتي تَميدْ
لِصوته القَويّ كالجبلْ،

تُرى دَرَتْ أُختي بما اشتعل
في خاطري مِن فرحةٍ وعيد ؟

أُحِسُّهُ شبّاكَها الرَخيّ
سِتارُه، يَحجُبها كطَيْفْ،

تريد أن تَعرِفَ كيفَ كَيفْ
أُردُّ عَنّي السّاعِدَ القويّ ...

كلّ الرعونات

تَعيشُني خاطرةٌ ببالْ،
أعيشُكَ انجراحَة الأبَدْ !

ما الخاطراتُ ؟ حُلُمٌ نَفَد ...
ما جَرحتي ؟ دَعْهُ لِيَ السؤال ...

لم أنتَ كالربيع، لا يَفِدْ
الا اذا تهافَتَ الشتاءْ ؟

وأنا فوحٌ دائمُ العَطاء
شممتَ ام لا ورْدِيَ الغرِد ؟

إفعَلْ وَخلِّ القَولَ للهزارْ،
الحُبُّ أن تحيا وأن تَجنّْ ...

كَوتَرٍ نهدي ... نَقَرْتَ رَنّ ...
دُرْ معه، إنَّ الوجودَ دار !

حَبيبيَ، الليلُ قد اندرى،
عندَ قَوامي، عندَ مقلَتيَّ،

تَتركُني له ؟ أفِقْ عَلَيّْ
ألا ترى ؟ ... أموتُ كي ترى !

تَعرف ما تَفعل، يا وريثْ
كُلِّ الرعونات، حِلى الحَالِمْ ؟ ...

تَقْتَحِمُ بيتَنا كما الظالمْ،
تَخطَفني وأنا أستغيث ...

قصيدة الحياة

قَسوتَ ام لِنتا،
ما هَمَّني الضنى،

قصيدَةٌ أنا،
مَطلِعُها انتا !

كتبتَني بخَمْرْ،
هذي انا أغرَبْ،

لكنْ اذا تَشرَبْ
فالكلماتُ جَمْر !

تَظُنُّني أَقْرا
كحلوةِ الفصول ؟

لا وأَنا الذهول
سِرِّيَ لا يُدرى !

تقطِفُ بُستانا
لو انتَ تَستطيعْ :

حيناً، أنا الربيع ...
والصيفُ، أحيانا ...

انا هَوى الصَلاه،
كُنْ انتَ ما كنتا،

مَطلِعُها أنتا،
قَصيدةُ الحياه !

خاتم

ويا أمُّ، لا تجزَعي ...
يَدي مَسَّها، ناعما،

لِيجلُبَه الخاتما
على مُشتهى إصبعي ...

ووشوشَ أُذنيَ أكثرْ :
« ألا ليت أُمَّكِ، قالْ،

تُخفِّفُ مُرَّ السُؤال ...
تعودُ، كما أنتِ، سُكَّر ... »

دعيه، وعينَيكِ، أمّي،
دعيه وما يَستطيبْ ...

انا حُلُمي أن يُذيب
قَوامي بِلثمٍ وضَمّْ ...

رَجوتُكِ كُوني ولا
تكوني ... ونحنُ حضورْ ...

وإن غمزَتْهُ الزُهور،
عَلَيَّ ... وإن قبَّلا ...

وقالَ وقال ... فجِرْتُ ...
انا، خاتمٌ بيدٍ ...

أضاميمُ وردٍ نَدي ...
وطَرحةُ عُرسٍ ... وطِرْت ...

أمام المرآة

ضفيرة شَعري، خبّري خبّري الحُلوا
بأني لا اهوى، ولو مُتُّ، لا أهوى ...

أنا قلتُها ؟ ... لا، يا ضفيرةُ، زقزقي
على إصبَعي واروي من السرّ ما يُروى ...

وان ساءَلت فيك العشيّاتُ : « من تُرى
تكونين ؟ » قولي : الهَمَّ والضمَّ والنَجوى ...

ضفيرةَ شَعري، لِمْ تذكَّرتِ ما جرى
لنا معه، ذيالكَ الزارِعي بَلوى ؟

أما هو مَن كَفَّاه بعثرتاكِ لا
تَكِفَّان، حتى لَلضنى أنتِ والشكوى ؟

ومَنْ بيَ حَطَّ المشتهى، والتقى فمي،
وراقصني كالشمس راقصتِ الصحوا ؟ ...

وقال : « انا سِحرُ الزمان فَرشتُهُ
لِنقلةِ رِجلٍ لم تَزل مِن دَدٍ نشوى ...

هنيهاتُ، طِرْنَ، اشتَقْنَ، تَيَمّنَ نقلةً
سها الكونُ إمَّا افتوتنتْ وانتهى سَهْوا ! »

حبيبي، حبيبُ العمر، كانت له يدٌ
تَعيث بِخصري، بالمعاني وبالفحوى ...

تشُدّ تَشدّ. الليلُ يَذكر قِصَّتي !
وأنسى انا ! بِمْ، بعدَ خصريَ، يُستقوى ؟

ضفيرةَ شِعري، ظَلِّلي نارَ ما أنا،
وقُولي : لذيذٌ أن أضِلَّ وانْ أغوى ...

الحُبُّ العَجَب

أكتبي على الزهَرْ،
أُختِ، أنه هجر ...

ذلكَ المُعذِّبي
مَن هواه مِن حجَر !

لُعبَةً ارادني
إن لها بها كسَر ...

تَشمَتين، أُختِ ؟ لا
وامسحي معي العِبر.

مَن حبيتُ، حُبُّه
كالهناءِ مُبتكَر.

مَرَّةً بكى، اذكُري ...
أجملُ البُكا ذِكر.

كان ذاكَ مُذْ انا
فوقَ زَندِه سَفَر ...

قال لو أُحِبُّه
إن وفى وإن غَدَر.

قلتُ : « هل تَشكُّ ؟ » وانهار
كالشِهاب مَر !

أُخت، تَذكرينها،
صورةً من الصُور ؟

هُو بي مُسْتَمِرّ
وكأنْ انا القَمر ! ...

أختٌ وهل أرفض؟..

لا، أختِ، لَم يَقُلْ :
« أريدكِ الحبيبه

بل زوجةً ! » يا طيبه
مَن عِطرُه كَفُل ...

وزاد : « اين يسكُنُ
أهلُكِ ؟ هَل وراءْ

ملاعبِ الهَواءْ
حَيثُ المروج تَفْتُن ؟

مَن عندَكُمْ في البيتْ ؟
أُمُّكِ ؟ يا هَنا...

قَولي لها : « انا
أُحِبّها مِن كَيتْ ... »

أُختِ، وهل أَرفُضْ
ما قَال ... ما يقولْ ؟ ...

وتركضَ التُلول
بي وأَنا أَركض ...

« أُريدكِ العَروسْ »،
ردَّدَ في أُذني ...

وَلَمْ يُجِب عَنّي
خصري الغَوي المَيوس ...

صَرفتُه بِطيبْ،
أَهْمِس، مذ دخْتُ :

« يا حُلوُ، لِي أُخْتُ
تعرِف أَنْ تُجيب » ...

لعبة

إرمِني على
الشمس، يا حبيبي !

أو،على آسمِها،
آكتُبْ فمي وطيبي

عَلِّ قارتًا،
فوقُ، في الغيوبِ،

فَلَكٌ أحرُفي
الصعبةَ الذُهوب،

وهَداكَ، يا
ضالُ، في دروبي.

لُعْبَةٌ ؟ ... أنا
لستُ للّعوب.

لا وانما
النَهرُ مِن وثوبي.

مُرٌ أُضِجَّ في
الكوب خمْرَ كوب،

ويهزُّكَ
الغُصنُ مِن رطيبي.

بيَدَكَ اتَّخِذْ،
أنا لي عيوبي.

عشتُ لا لِليلٍ
ولا غروب ...

إرمني على
الشمس ... يا حبيبي !

نُزول السِّتار

دَعْ مِن غدٍ وأَمْسْ،
أَليومَ، خُذ خَصري ...

وآرقُصْ على الزَّهْر
ولْتَتَلَوَّ الشمس ...

أُحِبُّها تَغارْ
هذي التي فوقُ

وأنتَ لي طَوْق
مِن قُبَلٍ ونار...

الشمسُ ام أنا،
قل، وسنى عينيكْ،

قُل، مَن على كَفَّيك
تَقْلَقُ أُقتَنا؟

وتُشتهى أُكثَرْ ...
وبعدَ ما تغيبْ،

تَسألْ، يا حبيب :
« مَن خصرُها عنبر ؟ ... »

أُالشمس فَلْتهلَكْ ...
أُنزِلْ، كَمن يَغارْ،

بوجهها السِتار ...
كُلُّ جمالي لكْ...

دَلال

تُغنّي ؟ لِمَ لا تدري
بأنْ خصري أنا العودُ ؟

وإنْ تَعزِفْ تغاوتْ فوق
تَختالُ الاماليدُ ...

أنا يَجهلنَني مَن فاتهن
القَدُّ والجيدُ

ومَن يَحسُدن ... أمَّا الفِتَنُ
الزَيْنَاتُ والغيدُ،

فيُخبِرْنَكَ هل مُتْنَ
بِغيري الأَعينُ السود ...

تَطَلَّعْ، ثوبيَ الريح
وشَعري الليلُ والبِيد ...

فإن بينَهما ضِعْتَ،
كما في الفَرحةِ العيدُ

فعِشْ في أَتَّيْ أُنهودتي،
أنتَ الأُناهيد !

حبيبي، أُصيِّدُ حُسني،
ولَذّاتُ الهوى صِيدُ.

أَلا اقطِفْني كما عَن أُمّهِ
يُقطف عنقود ...

حبيبي، زَنْدُكَ الأُخْذُ ...
حبيبي، خَصريَ الجُود ...

لمْ أدرِ...

لم أدرِ هل أعبُدُهُ أم أُحِبّْ ...
يَهُمُّني منه شَبابٌ عَرِمْ،

نَبرةُ صوت كالهَنا في الكَلِمْ،
وجبهَةٌ كناهِدي تَشرئِبّ !

أمسِ تلقّاني كأنّي اجتَمَعْ
فيَّ الغِوى والحُسُن حتى استطابْ

أن يحلمَ الحُلمَ بأُني الرَباب
يَمَسُّني، أُجَنُّ حتَّى الوجع !

الله، يا أُختُ، اسألي في هواهْ
هل هو كالريح يَلُفُّ الربى ؟

أو كاهتزازِ الغُصنِ ما أعذبا ! ...
قُولي له : « صِباهُ هَمِّي صِباه ... »

وإن هُوَ ازداد اشتياقاً إلى
عَصْري، إلى كَسْري كما غصنُ ضَالْ ...

تَظاهري بأنَّه منكِ نال
وذَوِّبي في « نعمِ » بعضَ « لا » ...

أُختِ، انا يَلَذُّ لي أن يَضِيعْ
فِيَّ ... كما في الليل ضاعَ الشفَقْ ...

تذكَّري ما كان يَعني الحَبق
لنا وقد طالَ غِيابُ الربيع ...

صِبَا

حمَلتُ صِباَيَ أفتنَ من وُلوعي !
تَمَنَّ عليَّ آتِكَ بالربيع ...

حَبيبي، واغوَ بي حُسناً وقصَّف،
كأنَّ الحسنَ فرعٌ من فروعي.

حبَستُ مِن التهالُكِ والتهامي
دموعاً، واحتبستُكَ في الدموع.

لِمن أُنا بعدُ ؟ لي ؟ لِلريح جُنَّت ،
لقول الليل : « ضِعتُ أُنا فضيعي ! »

وِسادَتِيَ البليلةُ كم تمنَّت
لو انكَ طيفُ أُطياف الرجوع.

تمُرُّ ولا تَمُرُّ كما بِكِذْبٍ،
وقال خُطاكَ مِن ضوء الشموع.

فإن طَلَعت عليَّ الشمسُ قالت :
« انا قصَّفْتُ منه سنى الطلوع !

هنا مِن بثِّه، وِهناك مما
بآهتِه على حُسنى النَصيع.

أُراه ؟ ... اما أُراه يكي وابكى ؟
بلى ولَوى الغصون على الجذوع ؟

ولوّنَ كل زقزقة ببلوى
وميّل باقةَ الحَوْر البديع ؟ »

حبيبي أنتَ من حُدِّثتُ عنه
حديثَ الشمس أوجعَها وجيعي.

ضممتُك، قال لي حُلمي، وطارت
بقايا الحُلم ... وانتبهتْ ربوعي ! ...

التَّمَّة

حبيبيَ، التمّةُ في البُحيرَهْ،
هذي التي تسلُبني النظرْ،

إخالُها شِعْرَكَ قد عبر
بالي، فَبَالي، وجَعٌ وغَيره ...

شِعرُكَ، هل شِعرُكَ من أناقهْ ؟
التمّةُ، الآنَ، كما النغمْ

تَسلطنتْ، تُقال من شَمم !
مِن زهرنا ارمِها غداً باقه ...

أحبّه شِعرَك من رُخامْ،
يَسطو، يُغنّي فوقُ، في الأُفُقْ ...

مِن بعلبكّنا له الخُلُقْ
والسِتّةُ الأعْمِدةُ العِظام !

أزورُهُ كهيكلٍ جَلَلْ،
أدخُلُه، أصدَع بالصلاه !

أهواهُ، مَرّةً، كما الحياه،
ومرّةً أفرُطُه قُبل ...

حبيبيَ التمّةُ مُوجِيَه:
خَطَّت على بحيرة الذهولْ،

بقلمِ الأشهر والفُصول،
أنْ شمَمٌ أنْتَ وأغنِيه ...

أنا وأخي الصغير وحبيبي...

يمرّ ... هل يَسألُ
عَنّي أخي الصغيرْ ؟

ذاكَ الذي يَطيرْ
سُكَّرة تُؤكل ؟

ويَنتشي المَعمُودْ،
مركّباً عنّي

أنْ قلتُ لِلدّنّ :
« هل غيريَ العنقود ؟ »

ومَن تُرى نَبَّهْ
أخي وجَنّنا

أن الغوى أنا،
لكنّني كِذْبه ؟ ...

ويَركُضُ الصَغيرْ،
أعجِبَ بالخبَرْ،

يَزرعُني زَهَر ...
يَحْصِدُني عَبير ...

ومُرَّ، يا التمُرْ،
بِي ... تَفْوَ بالشَعْشَعْ،

وبأخي ... تَسمَعْ
لِبلبُلٍ يَكُرّ ...

لا يا حبيبي...

لي الزجاجُ عُمُرٌ.
تَلعَبُ بي ... أَنكسِرُ ! ...

لا، يا حبيبي، واحتفظْ،
بين أنا وقمَرُ.

سَهِرتِ النجومُ ترعاني ...
وأهلي سَهِروا ...

إن شُعِر الزُجاج ما
انا وما التَكَبُّر ؟

دَعْ لي جبيني، بجبينٍ
مُزهِرٍ أزَهَرُ.

ما حَول خَصري هُوَ مِن
أمّي التي لا تَعذُر.

زُنّارُها هذا، فَهل
أنسى وهل أنتَحِر ؟

أطيَبُ ما عَطَّرَني،
أجملُ ما أأتزر !

وخَبَرُ الزجاجِ ذاكَ
عَن هواها خبَرُ،

عَن وردةٍ مِن قَبْلُ،
والورودُ فينا كُثُرٌ،

يَشمَخن بي، يَقُلْن لي :
« لكِ الزجاجُ عُمُر ! ... »

وَرْدَةٌ وَدُموع

أنتَ على صدرِكَ وردَهْ،
انا على خدّي دُموعْ.

تَقطِفُ عِطرَها ... ووعدَه ...
أقطِف آهةَ الضُلوع !

تسألني روضةُ آسْ
عنكَ. أُجيب : « ما غَدَرْ »

نَسيتَني ؟ لِمْ انتَ ناسْ
ليلَكَ، يا ذاكَ القمر ؟

عاتِبَتُهُ حُبُّكَ ... عاتِبْ
أنتَ، ولا تَحقِدْ عَليَّ.

أنا أنا، لستُ الحبائب ...
مَن هَجْرُهنَّ ليسَ شَيّ ...

جبيني العالي تَصَدَّعْ،
يَسكُتُ فيكَ ... ويقولْ ...

كَفكِفْ شَكاةَ الدَمعِ واسمَعْ
سكوتَ أوراقِ الذُبولْ !

مُتهِمي، بِمَ اتَّهمْتَا ؟ ...
« أنا حبيتُ وآنتهَيْتُ » ؟!

ويحَ الهوى ! كيفَ هَممتا
بأْن تَقولَني افْتريتُ ؟

أْنا سَلَوْتُ ؟! رُدَّ، رُدَّهْ
قولاً كما الكِذْبُ يَرُوعْ.

أْنت على صدريَ وردَه،
وأْنا أُسقيها الدُّموع !

مَليكُ الجانْ

سمعتُ في الوِديانْ
صوتَكَ، يا حبيبي،

ويحيَ ! فاحَ طِيبي
يُغري مليكَ الجان ...

يا ساكِنَ الحكايه،
طفَرْتَ تَرتمي

لوناً، على فمي،
وقُبلةً ... وآيه ...

كغابٍ ياسمينْ
ظَلَّ ولا تَظَلْ ...

في أُذُني غَزَل،
في أضلعي حَنِين !

وبَعْدُ، يا باعِدْ،
تُريدُني أرسُمْ ؟

ماذا ! أبالقُمقُمْ
سأحبِس المارد ؟

قَلمُكَ الحَجَرْ
وقَلمي الوُلوعْ،

تكتُبُني دموعْ
اكتبكَ القَمر !

ومُنذُ مِن أزمانْ
نَسيتَهُ وعدَكْ،

مِن كُتُبي، بَعدَكْ،
فَرَّ مَليكُ الجان !

سيرجع، يا أخت

سَيرجَع، يا أُختُ، إن أَنا انزَعْ
مِن الإصبعِ الخاتما ؟

سأَلتُكِ لا قُلتِها أَنْ سيرجَع...
على الخَدّ دمعي هَمى !

سَكتِّ ؟ ألا تُسكِتين التنهُّدْ
بصدري كأنيَ ما قلتُ شيّ ؟

حنانَكِ ! ها خاتمي كاد يَرُدْ
وينظرُ شَزْراً إليّ.

الا طَمئِني الخاتما
بقولةِ أنّي كَذَبْتْ.

أراني سأكتُب عُذري دَما ...
أراني كتَبْتْ ...

تقصّفْتُ، يا أخت ... لي شُبّها
أن الغيدُ حولَيْه بيضٌ وسُمْرْ ...

تَقصّفتُ كالغُصن، قلت انتهى
مِن العمر أجمَلُ عمْرْ !

أحبُّكِ، أختي، الا أسعِفيني
بوردِ الجنائن، بالياسَمين ...

وأُكذِبَ : « لا ما وَجِعْتُ » ...
ويا خاتمًا بيميني،

تَكتَّمْ وقُلْ : « ما سَمِعْتُ ».

الهمسة

ستتركُني، قلتَ، تترُكُ ؟
كذا، وجفونُكَ لا تدمَعُ

كثوبك، عند المسا، تَخلَع ؟...
انا ما يبالِيَ عُذرُكْ.

عليَّ اخترِعْ واخترِعْ ...
لِجُرأة نهديَ قل : « صرتِ جُبنا »،

لِحُسْنِيَ قل : لستَ حُسنا »،
وتاجِيَ من فوقِ رأسي انتزع !

ولكنْ اذا عنَّ لَكْ
أنِ الشوقُ مات بقلبي،

وفي الغَدِ أذوي، وغيرُكَ حُبّي،
تورّعْ ... أنا لا أزالُ الفَلَكْ.

وان أوقفتْنيَ بنتُ الرصيفْ،
كما أمسِ، تفضَحُ أنَّكَ تندو

عليَّ ... وتَنزِع عَنّي النصيف،
أُرُدُّ اذا ما أُردُّ :

ــ كَذَبْتِ، الشريفُ يَظَلُّ شريفْ
وإن هي قالت : « لَيغدُرْ يغدُرْ

وحُبُّكِ يَرشقُهُ بالبلاهَهْ
أقول : « وتُمحى، اذا هو يذكُرْ

بأنِّيَ وحدي الإلٰه ».

زهرتا بنفسج

رشقتني بزهرتَيْ بنفسَجْ،
تذكُرُ ؟ ... منذُها غدوتُ أغْنَج ...

تسألني أُمّيَ : « لِمْ تعالى
أنفُكِ، لِمْ وجهُكِ ضَاءَ أبلج ؟ »

أسكُتُ... لكنّي لِبنتِ أُختي
أُوصي : « اضحكي عن لؤلؤٍ تفلَّج ...

انا سأُخفي السِرَّ ... أنت ضُحّي ...
قولي : « رماها بالزهور أهوج » ...

تَظاهري بأنْ رأيتِ منه
أكثَرَ ... أنْ دملجَني بِدِملَج...

نزعتُه غضبى ... ولَو تمادى
في غيِّه لَكان قد تَهبَّج... »

لِمْ بنتُ اختي ؟ ربَّما لأنَّ
الكِذْبة في فمِ الصغار تَهرَجُ ...

وقد أُصدِّق التي ستبدو
بريئةً وصَوتُها تهدَّج ...

أقول : « لو صَحَّ الذي روَتْه
ــ ولم تُلَقَّنْهُ ــ لكنتُ أُثلج...

كأنني كُلِّيَ، يا حبيبي،
قلبٌ، وكلِّي زَهرتا بنفسج ...

أسكنتُكَ الجفنَ الشريد

أسكنتُكَ الجفْنَ الشريدْ،
أسكنتني بيتَ القصيد.

أنا غداً يا كُتُباً ...
وانتَ يا حُبّي الوحيد !

بِوردةٍ أنْتَ رشَفْتَ
وأنا بوقْعِ جيد.

أوّاه ! يَصْفَرُّ عليّ ...
الوردُ ... والوَقْعُ يزيد ...

قَبْلَ هِيام الكأسِ بي،
كنتَ على فمي النبيذ ...

تَشْرَبُ أنت، أَنا لا ...
تَجمُدُ انت وأَمِيد !

تُحِبُّني ؟ ... لا قلتَها
أُكذوبةً تخدَع غِيد.

أُحكي انا عنّي وعنكَ،
القِدْمُ من حُبّي جديد.

ويحكَ ! لا تشتاق ؟ ما
هَمَّ، اشتياقي لكَ عِيد !

إن زُرْتَني او لم تَزُرْ،
إليكَ ها عِطري بَريد ...

أُوجَعُ حُبٍّ أنني
قريبةٌ، يا ذا البعيد !

كتبتَ لي...

كتبتَ لي أن ستجيءْ
ها انا بالزهر مليء

بالي ... وأشجاري تميدُ
بي ... وأفيائي تفيء ...

اين انا ْمنزلةٌ
وجهَكَ ؟ في صدري الدفيءْ ؟

في ضمّتي، في قبلاتي،
في فمي العذب البريءْ ؟

قل لي، حبيبي، أأجيدُ
الحُبّ، قل لي، أم أسيءْ ؟

أكَذِب أحيانا عليكَ،
إنما كِذْبي مَريءْ.

تَسيغُه ... تَعرِفُهُ
جُزءاً من الدَلّ جَريءْ.

تُحبّه ... تقول : « زيدي
كَلِمَ الجَمْرِ الجريءْ.

وبعدُ ؟ بعدُ أنزِلي
رجلَيكِ في خمري الهنيءْ ».

أُوّاه ما أَلَذَّ ! لكنْ
جِئْ ولي ضوءٌ يُضيءْ.

جئْ ، وَرْدتي أُتعبَها
القولُ : « يَجيءُ ؟ ... لا يَجيءْ ؟ ... »

همومُ الياسمينة

تَسأَلُ عنكَ، يا حبيبي،
وتَميدُ الياسمينه.

تَذكُرُ ؟ مَرَّةً سمِعتَ
تَحتَها هَمْسَ السكينه !

سمعتَ قلبي خافقاً
وَلَيَّ خَصْرِي وفتونَه،

وقلتَ لي : « هِيَ انتهَتْ
أَم رِدْنُ ثوبٍ ترتدينه » ؟

جَرحتَها قال ... عددتَ
عِطرَها جسمي ولِينَه...

وبَعْدُ كم داريتُ، كم
قلتُ : « اغفِري له جُنونه ...

يُحبُّني، يُحبّ خَطَّ
الخطو مِنّي ورنينه ...

يَقولُني أَجملَ ما في
الطَيش رُوحاً ورُعونه...

هذي انا لم أُضَغِّنْ ...
أُفديكِ كُفّي عن ضغينه ».

وبعدُ، يا حبيبُ، تَرثي
لي وتَغوَى الياسَمينه ...

وَرَقَةٌ مِنَ الصَّدى

وَرَقةٌ من الصَدى
وأكتبُ اسماً مِن ندى.

إسمُكَ، يا الذي على
الزهرةِ خَطَّ موعِدا.

قُلتَ تزورُني غداً،
ورحتُ أجمَعُ الغَدا.

تُناثِرَ ! آسالُه وعاتِبْهُ
ولو تَودُّدا.

هذا الضُحى انتظرتُ، هِمْتُ
ضَمّتينِ ويدا.

وورقُ الصَدى بكى !
تُرى إلى اسمِكَ اهتدى ؟

طَيِّبَ من خاطرِ حَرفَينِ
له وردّا.

وأُغرق النسيمَ بالقول :
« هنا الحبُّ شَدا

على بقايا ورق
أبهى بياضٍ سُوِّدا ».

يُنقَشُ عُصفورانِ في
وَرقةٍ من الصدى.

كنارٌ وورد

حَلمتُ بأَني الكَنارْ ...
وانتَ عَليَّ تغار ...

وتقصِفُني ... ولحاظُكَ
تَرمي حواليَّ ... نار ...

تُقوِّلُني : « لكَ وحدكَ
صوتي ... ورَنُّ السِوار ...

ولبْسيَ أُصفَرَ ... منه
يُصاب المدى بدُوار... »

أُثيرك إما تُقَصِّفْ
يدي لَكَ إكليلَ غار

أُحِبُّكَ آن تَطيبُ،
أُحبكَ آن تُثار !

حبيبي، وأحلمُ أني
مِن الورد نصف افترار ...

تَمُدُّ يداً ؟ لا أُردُّك ...
لكنما دارِ دارْ !

أُحِبُّ وغيريَ تَقطِف ؟ ...
بلِّغْ صبايا الجوار

أنَّ الحُسْنُ لا غيرُ حُسنيَ،
ورودأ هَمى أم ثِمارِ...

كعطرِ بَال

كعطرِ بيالِ قَرَنْفُلْ،
أمُرُّ ببالِ حبيبي.

كَذا قرأتْ لي غُيوبي
فتاةٌ تُلملِمُ سنبُل.

رُلى، ريمُ، مَرتا، جُمانه،
الا دَعْنَني في ولَهْ

أُجَمِّع حُسنيَ له،
نَدىً، نَفحةً، يَلسانه ...

وأسأل مَن أنا ... قالْ ...
وقال ... أنا أعرِفُ ...

ألَذُّ الشَذا، أشرَفُ
شَذاً لا يَكِفُّ سُؤال !

وإنْ أغفُ أَحلُمُ أحلُمْ
بزَندٍ له لا يَميعْ،

أهُمُّ به وأضيعْ ...
فيا اسلَمْن، عِشْنَ التَّوَهُّمْ!...

تُرى بُحْتُ ؟ دَعْ، يا دَعي ...
أتمتِمُ لي لا لغَيْرْ،

بأَنْ نَقَدَتْنِيَ طير ...
ومُتُّ وسِرّي معي !

نادِني أسمعَ بكلّ القُبَل ...

نادِني أسمَعْ بكلِّ القُبَلِ
وأجي حُبّيَ فوقَ الأنمُل !

أنا عُنقودٌ، فطاوِل بفمٍ،
وافرُطِ الحَبَّ كما لم تَفعل ...

ذاكِرٌ ما لونُ عينيَّ ؟ ... انسَهُ
حاضِراً اجمل مِن مستقبَل ...

ضِعْ به إن شئتَ، لكن مثلما
ضاعَ نَيسانٌ ببال البُلبل !

حُبُّني تهجئةٌ، كَرْجاً، غِوى
ريشةٍ تَكتبُ سِفرَ الغزَل.

أنا لا بَعضيَ، بَل كُلِّيَ، مِلْ
فوق ما قد ضَجّ خَلْفَ المُخمَل ...

لؤلؤُ العِقد الا افرُطْه كما
فَرْطُ صُبحين بِكفِّ الثمِل ...

لا تُحِبُّ الليل ؟ ... أُحببني انا
أُعطِكَ الليلَ بِطرفي الأُكحلِ !

لِيَ خصرٌ بعضُه أُغنيَةٌ
شَرِبتْها الشمس عنْدَ الطَفَل،

يتناءى في الهْنا واللاهْنا
ويُوافي كجمالٍ من عَلِ !

« نعمٌ » خصريَ أمِ « لا » ؟ ... بعدَهُ
لا تسلِ ... مُدَّ ذراعاً واحمِلِ ...

غُربة

أحببتُكَ ... مَن قالا ؟
يا مُتَّرِكي بَدَدا ...

صدرًا، عينين ِ، صَدى
خصرين ِ اذا مالا !

يا مَن أمشي دَربَهْ
أحببتُك ... مَن قالا ؟

أنا حَطَّمَني حالا
أنْ صِرتُ انا الكِذْبه ...

ذِكرايَ على فَمِ ناسْ !
مَن يَشرَبُهُ الآلا ؟

أحبَبْتُكَ ... من قالا ؟
من قال بأنّي الكاس ؟

دَعْني أنا والسَيْلا
مِن اضواءٍ تفضَحْ

عُرِّيتَكَ، وطِبْ وآمرَح ...
سأظَلُّ انا اللَيلا !

اليومَ، وقد طالا
مِن هجرِكَ ما كَسَّر،

مِن حُبّيَ ما زهَر،
أُحبتُكَ ... مَن قالا ؟

شلح زنبق

بمَن ؟ بصبيَّة
تروحْ تَحرَّقْ ؟

فيا شِلْحَ زنبق
أنا المِزهريّةْ ...

أُفِقْ. سيُدوِّنْ
جمالي القَمَرْ،

فخُذ ما آنتثر
وكَوِّنْ وكوَّن ...

شَفِيتَ بِدمعَه ؟
انَا ما قَدِرْتْ،

بِحبّي عَطِرْتْ
وذُبتُ كشمعه !

غداً بي تَمُرّْ
وتَمضي تَعُدُّ،

غرامِيَ عَبْدُ
غرامُكَ حُرّ ...

على أنَّكَ النيْلْ
لِعذبٍ وعذبِ،

الا ضِعْ بقلبي
كأنّي للكَ الليل،

كأنّي أَشْهَقْ
وأَنتَ الخَطيّه

ولا مِزهريّة ...
ولا شِلحُ زَنبق ...

فمي

فَمي، ويا هَمّي ويا همَّه ! ...
شبَهته بنجمة المساءْ.

يا حُلْوُ، قَرِّبْ موعِدَ اللقاءْ
تاقَتْ إلى قُبلتِكَ النَجمه ...

منها، أنا أقول، يا حبيبُ !
منها غدا ستقطف القُبله.

فَمي كفاهُ رُؤيةُ النحله
تَجني، كفَاه غَيرةٌ تُذيب !

النَجمةُ الآنَ تَكَبَّر،
يا حلْوُ، لِمْ أسمعتَها العَذْبا ؟

قالتْ دلالاً : « أيُّنا أغبى ؟ »
وغَمزتْني وهْي تنظُر.

رأيتَ ؟ ... صارتْ كفمي تَهوى،
تَبسِمُ فوقُ، تَرشُق القمرْ

بما يُخلّيه على سفر.
رأيتَ ؟ ... صارت كفمي تَغوى ...

شِعرُكَ، يا حُلْوُ، هو السَبَبْ.
طمَّعها بي وبكَ، النجمَهْ.

فَطَمِعتْ ! أَلا أَلا لُمَّهْ،
ما شِعرُكَ الشِعرَ، هو اللَهَب !

أُحِبُّهُ

أُحِبّه أنا ولا يدري !
ولي كرامتي، فلا ابوحْ.

ماذا تُرى تَفعلُ، يا زَهري ؟
تكِفُّ ؟ ... لا تَميل، لا تفوح ؟ ...

مَن مُخبِري أينَ غداً دربي ؟
تقول اختي أنْ سأنساهُ.

حقًا ! ... وما أَصنَعُ بالقلب ؟
قلبي انا، النسيانُ يهواه !

لِلحلوِ قولي، أُختِ، أنْ مِنهُ
انا، كما العِطرُ من الوردِ.

فإن يَشأْ قلبيَ أُسكِنْهُ
قلبي ... وان لم يَفدِني أفْدِ

وآخَرٌ، قامتُه السَرْوُ،
قالوه في هُدبي أنا سافِرْ ...

هاني وجِعتُ عنْكَ، يا حُلْوُ،
لأنني أحبَبتي آخر !

أُختي، ولا هَمَّكِ مَن نادى
باسمي ... وأُنّي الكأسُ والخمرُ ...

وإن لواه الخَصرٌ إن مادا...
قولي له : « ليس لك الخصر ».

انا سوى سنه

وأنا أصغَرْ
كنتَ لي أخا،

قُلْ فأشمَخا
أنني أكبَر ...

انا مِن سَنَهْ
لَمْ أهِمْ بِكا ؟

ها بِدربكا
صِرتُ سوسنه !

أنْ تَرى — يا ليتْ ! —
عُمُري أكبَرْ،

شَفتي سُكَّر،
لِمَ ما اشتهيت ؟

كنتُ قد هتفتْ :
« ما أحي عُوَ،

إنما الهَوى.
كنت قد قطفت ...

لِمِ ذا بعتْ
سَنَةً ؟ ... شهورْ ؟ ...

دُرتَ بي تَدور ...
وانا شَقِيت !

لِمَ، يا غَبِي،
ألِأنضَجا ؟

كان لي رجا
أن تموتَ بي ! ...

يا فُلَّتي، إنْ هُوَ لم يَمُرّ

يا فُلَّتي، إن هُوَ لم يَمُرّ،
غداً، بنا فلا تَلَوَّعي.

يَسمَعُ حسُّونٌ هُنا يُكرِّ
يسكتُ ... والسكوتُ مُوجِعي ...

أنتِ اكتفي بأن تَرَيْ ولا
تَرَيْ عليّ صُفرةَ الجَزَعْ ...

غِيابُه قُوليه زَلزلا
حُسني الذي بالقُبَل انجمع !

أنا ساستَطلِعُ ... اشتكي
لِورقاتِ منكِ : « هل يُحِبّ ؟

يُجَنُّ بي ؟ ... يَطيبُ ؟ ... يتَّكي
عليّ ؟ ... أم يَغضَبُ ... يشرئبّ ؟ ... »

لا، وحياتي أنا، لا التوى
عُنُقُكِ العالي، ولا استراح

إلّا على ما بيَ مِن غِوى،
يومَ يعودُ هُوَ بالصباح ...

انا اذا، يا فُلّتي، آرتعَشْ،
في الأُفق، ضوءٌ او علا ضجيجْ،

أُذكِرُهُ الشِعْرَ الذي نقَشْ
نَهدي على الريح، على الأريج ...

وبعدُ، يا فُلّةُ، إن غَدَرْ
بنا، فلا شَوْقٌ ولا آشتهاءْ،

نظَلُّ، أنتِ من صِبا الزَهَرْ،
وأنا، ويحي ! من ذُرى الوفاءْ.

شجرة النعاس

يا حلْوُ، هل جَوابْ
سِواكَ عن حبّي ؟

يا قِصةً تَسبي
ساكنةً كتاب !

وما حكَتْ ؟ ... حَكَتْ
أنّي انا الدموعْ،

وأنَّكَ الضلوع
ما مرّةً شكَت !

تَمُرُّ بي، تمُرْ
لا مثلما اليباسْ

في شجَرِ النُعاس،
بل مثلما العُمُر !

وما الزمانُ مَذْ
ام لا ؟ ... أنا سُعِدْتْ

ما دُمتَ قد وُجِدْتْ
فانتَ لي أبد !

إطلَعْ كما الصوابْ،
والصوتُ ما خفتْ،

يا زنبقاً نبت
في دَفتَيْ كتاب.

الأُمْنَجَر

لِمَ، يا أُمّيَ، مَرّ
تحتَ شُبّاكي أنا ؟

جارتي لَن تُفتنا
بسوى ذاك النظر ...

هي قالتها ... وراحْ
نظرٌ يَفرُط بي ...

أأنا مِن كَذِبِ
أَم انا زهرُ أقاح ؟

أمٍّ، لا، لَن أعِدَهْ
بلقاءَاتِ عِذابْ،

إنما إن هُوَ ذَاب
كيف لي أن أُبعدَه ؟ ...

خِفتِ، يا أمّ، الظُّنُونْ ؟
قلتِ لي أن أُقفِلا

ذلكَ الشُبَّاك ؟ لا ...
إنَّ شُبّاكي حَنون.

انا، لولاها، التي
خَبَّرت كيف نَحرْ

قلبَها ذاكَ النظر،
كنتُ لم أَلتفتِ.

إنما الشُبّاكُ سرٌ،
مُذْ رماهُ بِحَصاه ...

قال لي : « رُدّي بآه
ولتكن آهَ العمُر ! »

جارتي صارتْ دموعْ ...
أمِّ، هل أبقى حجرْ ؟

رَدَّني ذاكَ النظر
شمعةً بين الشموع !

خريف

ما بين أوراق الشجَرْ
ضِعتَ، حبيبي. هل تُطالْ ؟

أنا اذا ضِعتُ ببال
ليلِكِ سَلْ عنّي القمر ...

أوَّلَ أمسِ قلتَ لي
أنْ غُصُنُ اللوز يَميلْ ...

إسألْهُ لِمْ كفَّ اسأَلِ،
مذ انا مِلْتُ في الأَصيل ؟

ما غُصُنُ اللوز انا
ولَمْ يَمُرَّ بي نسيمْ،

يُوجِعني حتى الضنى
كما الشَذا، كما الشميم !

تأْخذُني كزنبقَه ؟
او كسراجٍ في لُهاثْ ؟

ويحَكَ ! خُذني مُعنِقهْ،
أَنا زنابقٌ ثلاث ...

تُحبَس ؟ ... لا لن تُحبَسا ...
في البال أن سوف تطيرْ

مِنِّي، كأنّي أُنتسى
وقُبلتي ليستْ حرير ...

حُبّيَ، قد مات الوفاءْ،
عنّيَ لا تسألْ قَمَرْ،

تساقطت عندَ المساءْ
عَليَّ أوْراقُ الشجر !

الحصاة إلى الشبّاك

قولي له، أختي، يَمُرْ،
من خَلَل الأسلاكْ،

عندَ المسا، عندَ الظُهر،
ويَرشُقُ الشبَّاك ...

انا أكونُ أنتظِرْ
فافتح المِصراعْ ...

يرى دموعي تنهمِر،
يَسمعني ألتاع.

لا لن أقولَ : « اصعد إليّ »،
ساكتفي بالهمْسْ :

« نَسيتُه في أُذُنيّ
قولَكَ أني الشمس ».

أُختي، وإن تردّدا
وراحَ يُبدي اللومْ،

قولي له : « أنتَ غدا
أفتَنُ منكَ اليوم ».

وشوقي ... فيأنسا
لِلدرب ... للأشواكْ ...

أُختي، وقَد ينسى الأَسى
ويَرشُقُ الشبّاكُ ...

قَرَنفُل

لِمن أنتَ حلْمٌ ؟ لِلندى، للغمام، لي ؟
تعالَ تعال ... اشتاقَ زَهْرِ القَرنفُلِ ...

أتذكُرُ ؟ سَمّيتَ القَرنفُلَ نجمةً
وراءَ قميصٍ لم تُبَح لِمعلَّلِ ...

فقلتَ : « سأستكفي بشمِّ أُريجها »،
ورحتَ تَعُدُّ العِطر عدّاً مُزلزِلي ...

فَلَمْ تُبقِ من وردٍ كما الحبُّ لاذعٍ
ولا من عَرارٍ مثلما الشعرُ مذهِلٍ !

وقلتَ : « اصعُبي، يا فتحةَ الثوب، واسهُلي »،
وقلت : « اصَعدي، يا نَجمة النَهد، وانزلِي ! »

أنا كُلَّما زوجُ الحمام رنا ضحىً،
وراءَ الشَفيف المستحِي المُتبتِّل،

أناجيكَ أنْ لِمْ أنت حِبري وريشتي
وتكتُبَ أو ترمي السَنى في تَغزُّلي ؟

نظمتُ أنا شِعرًا على بعضِ جُرأةٍ
رمتْكَ ببالي ... ذاكِرٌ أنتَ ام خَلي ؟ ...

حَبيتُهما اثنَيْ عِزّةٍ : واحدٍ سها ...
وآخرَ في حُلْم رآك مقبّلي،

وكنتُ أنا ما كنتُ، قُبلتيَ الرِضى
كزقزقةٍ من بلبلٍ في تململ ...

تَعال ومَلِّ الطرْفَ، ضَوْعُ قَرنفُلٍ
فدَاكَ ... وآهاتٌ ... وكرَّةُ بُلبل ...

اسم

شُقَّ من زهر البنفسَجْ،
شُقَّ لي آسمًا يتأرَّج.

باتَ لي أُختٌ كحسنٍ،
طرفُها أدعجُ أدعَج ...

بضّةٌ ... شقراءُ كالشمس
على التلَّة ... تلهَج

بكَ ... بالضمَّة ... بالقُبلة ...
بالثغر المُضَرّج ...

لِم فكّرْتُ انا بالروض
مذ راحت تموّج،

خلف ثوب قلتَهُ الريح ...
وقلتَ الغيمَ يَدْرَج ؟ ...

لِم فكرتُ بلونٍ
لفظُه الخَمريُّ يَغنَج ؟

لستُ أدري ... كُلُّ ما عنديَ
أنّي أتلعثج ...

كلما هَبَّ على أُختي
شَذا الزَهر المفلّج ...

وهَمى كالمُزن، وانشَقَّ
له القلب ... وأثلج ...

شُقَّ لي آسماً، فيه من سِين ٍ ...
ومن جيم ٍ ... ويَهزَج ...

أنا أُختي عِطرُها لا
أيَّما عطر ٍ ... بَنفسج ...

كأني أنا الأكاسيا

كأنّني انا الاكاسيَه
بِعطرها، بالابيض الشاعِلْ

داخلَ اغصانٍ لها، داخل ...
عِشْني بِلا القشور، عاريه !

تَظُنّني خَلَعْتُ مِن عِذارْ ؟
كلّا. انا الليلُ تَجمّعا

قصيدةً، مَتْناً وَمطلِعا،
إقرأني آقرأ قُبَلي الكِثار ...

أُحِبُّ لو تحبّني صَدى
لكلّ ما رَنَّ بأُذن كَوْن.

مِن زهَر الليمون صرتُ لون،
نَدًى جَديداً أُتعب المدى.

حَبيبيَ آسكَر بي جَمامَ كاسْ،
قُلْ أنني الرَبابُ ما سكَتْ،

تحكي لِيَ الدنيا، إذا حكت ...
يُمطِر فوقي لُؤلُؤ النُعاس ...

لا، لا تَضُمّني وانما
فَكِّر بأن أُرمَى على يديكْ

كَلمتي — سَلْ بُلبلاً بأَيْكْ —
لا « فلأُكن » بل « كن وَأُحلُما »!

ما هَمَسَني قَلْبان ...

ما زَال ذاكَ الهَمْسُ ...
همساً ؟ وما زِلتا

تَضُمُّني، قلتا ؟
قلتَ تَضُمُّ الشمسْ...

إغْرَقْ، ويَغوى بي
ليلٌ ولا أُدري ...

إهْرَقْ على صدري
طِيبَكَ، يا طِيبي.

وهَنْتُ ؟ ... تَرضَيهْ
لي أُنني وهَنْتْ ...

صِرنا أنا وأَنتْ،
يا حُلْوُ، أُغنيه ...

كَنبتَة الأَقاحْ
أَسمو أنا، أَسمو،

لكن كما الحُلْمُ
فَرَّ مع الصباح ...

والآن، إن كَسَّرَ
أَعطافِيَ المَغيبْ،

لا تَخشَ، يا حبيب،
بل ضُمَّني أكثر ...

أغمِضُهُ طرفي،
أسمَعُ نبض الآنْ،

ما هَمَّني قلبان ...
قَلبُكَ بي يَكفي !

لا ونعم...

تُحِبُّني ... وأنا لا ...
لكنَّ لائي مِن نعَمْ.

دَع لي جَبيني مِن شمم
والقَدُّ مِن كأسٍ طِلا ...

يا طيبَه فتْحَ الذِراعْ
مِمّن تقولُها أبَتْ ...

أجمَلُهُ الزهرُ نبَتْ
في مُنتهى القفرِ المُضاع !

والكأسُ حطّهما على
لائي تُبذِّلْهَا ولوعْ،

تغدو كما خَفْقُ الضُلوع
بِكل شيءٍ، غيرِ لا ...

ولا تُدلّل شَعَري
بكلماتٍ من جُمانْ،

دَلّله، يا مليكَ جان،
بِكلمات النَظَرِ ...

ويكَ ! وان شيءٌ حلا
في هُدُبي كما النُعاسْ

فَحُبَّني بلا احتراس،
كما أنا ببعضِ لا ...

الصيّاد والسَّكرة

ضاحكَني أنْ لو أنا سُكَّرَهُ
قَرشَني ... وسَمعتْ أُختي ...

عصفورةَ الدوري على التَخْتِ،
فوقُ أقلِّي العَمْزَ او أُخبِرَه ...

تَذكُرين ؟ ... هُوَ لا يُخطي
إن سدّد الطلقة يوماً رمى

ذاكَ الذي بَكيته عَندما ...
وموجتانِ نحنُ في الشَطِّ ...

عصفورةَ الدوري، أنا لِي طَلَبْ ...
أُختي، آمسَحي مِن بالها الزُورا ...

قولي لها، وتَقْودي النُورا
عن راحتَيها، أنَّه قد كَذَب ...

سُكَّرَةٌ، قال ؟ ... آفرِضي فَرْضا
أنْ كُنتُها. هل أُرتمي في فمهْ ؟ ...

ويحي ! وأَغدو بِضعةً من دمِه ؟ ...
طَرفي لِما أنْ وهَمتُ أُغضى ...

لكنْ اذا هَمَّت بأَن تَعذُرا،
أُختي، وقد رَقَّت لما يَفرِضْ،

فقد أُعود انا لا أُرفِض
فِكرَةَ أَنْ يَقرُشَني سُكَّرَهْ ...

لنا أنا أكتب

لنا أنا أكتُبْ،
نِحبّنا، للزهْرْ،

ليوم راح النّهْر
يُدحرج الأشْهُبْ !

تَذْكُرُ ؟ قلتَ لي :
« عيناكِ تُوجِعان ! »

وسُمَّرِ الزمانْ
في شَطِّ جدولٍ.

يا طيبَ عندليبْ
حَطَّ وما غَنَّى ...

لكنَّه جُنَّا
بزندكَ الحبيب.

كادَ يُسائِلُ :
ما أنت وَالوعْدُ ؟ ...

لا تنتظر بَعْدُ،
ألعمرُ زائل !

ما كان، دَعْهُ، كانْ ...
وظَلَّتِ الأَشْهُبْ

تُشرِق او تَغرُبْ
في نَهَرِ الزمان !

فهرست الكتاب

فهرست المجلد